مجموعة قصصية

حكايات الليل

مرمر محمد

كتوباتي
kotobati

حكايات الليل

مرمر محمد

مجموعة قصصية

الكتـــــــــــاب: حكايات الليل

تـــــــــــأليف: مرمر محمد

النوعيـــــــــــة: مجموعة قصصية

صدر عن كتوباتي: 2024م

التنسيق والتصميم: مكتبة كتوباتي

النشر الإلكتروني: مكتبة كتوباتي

support@kotobati.com

www.kotobati.com

كل الأفكار المذكورة في الكتاب لا تعبر عن مكتبة كتوباتي.

وكل الحقوق محفوظة لدى المؤلف.

الفهرس

الإهـــداء 4
مقـدمة 5
لعنةُ خيال المآتة 7
روحٌ هاربة 16
منزل وظلال 26
طيف الريتا 33
أرواحٌ صارخة 45
حارسُ الجبل الأسطوري 61
الجن العاشق 72
اللعبة الشبح 79
الشيطان الأسود 92
القاتل المتسلسل 97

الإهـــداء

إلى الروح لم تتعلم الخوف يومًا...

إلى من كانوا يركضون ليرعبون إخوتهم الصغار ظلامًا...

و إلى العزيزة الجميلة غفران طلحة

مقــدمة

عند منتصف الليل يكتسي الظلام البقاع برمتها وتبدأ حينها الحكايات، قد تكون الآن مُستلقياً على سريركَ، رميت بهاتفكَ جانبًا لتحمل هذا الكتاب بين يديك، وبدأت تقلب فيه علَّك تجد قصة مثيرة تأخذك من عالمكَ الممل إلى عالمٍ آخر يملؤه الخيال، التشويق والإثارة، أو ربما قد تضع الكتاب جانبًا كذلك، وتتجول بنظركَ حول ظلام الغرفة الدامس المحيط بك، لا تدري أن هناك شخصاً ما بجانبكَ، يراقبكَ ويبتسم لكَ، إن حاولت البحث عنه أو النظر ناحيته لحظتها؛ سيشدكَ بقوةٍ!

سيأخذكَ إلى عالم آخر حَالِك السواد.

سيضمكَ، وستسري قشعريرة في جسدكَ الهزيل.

ماذا؟!

انظر إليه إنه يقترب منكَ أو لا، لا تنظر حتمًا سترتعب من شكله، ما زال يقترب شيئًا فشيئًا، ها هو ذا يبرز أنيابه.

لا هو يبتسم لكَ مجددًا، ظننته سيمتص دماءكَ!

لقد اختفى فجأة، إلى أين يا ترى؟

لا تنظر فوق حتمًا ليس في الأعلى، وليس بجانبك لا عن يمينكَ، ولا عن يسارِكَ، أتود أن تعرف أين اختفى فجأة؟

لحظة !

هل لك أن تسمع هذا الصوت؟

تك توك، تك توك...

إنها ساعة الحائط؟ !

ولكنك لا تمتلك ساعة حائط في غرفتكَ، أو في المنزلِ عامةً

هذا الصوت تارة يقترب وتارة يبتعد...

أنا أسمعه معكَ أيضًا.

أخبرني، هل عبثت اليوم مع أحدٍ وقرينه يحاصركَ ويود الانتقام منكَ؟

حسنًا، لا تفكر كثيرًا

وانظر تحت السرير هناك شخص ما بملامحٍ مخيفة يراقبكَ من الأسفل ويضحك عليكَ الآن.

لعنةُ خيال المآتة

"أربعة شباب الليلة سيقتلون لن ينجو منهم أحد، ماذا تظنون؟
أربعة شباب الليلة سيقتلون لن ينجو منهم أحد، جميعهم سيموتون"

في صباح تغازل فيه نسمات الهواء بنان الأشجار ومحاصيل الذرة في الحقول فتتراقص الأخيرة سعيدة مع تغاريدِ الطيور، ومن دون كُل الحقول حطَّ غراب النحس ـهكذا يطلقون عليهـ على محصولِ الذرة في حقل الحاج مصطفى، صَرَخَ وهو يرف بيديه طاردًا إياه:

- ابتعد يا طائر النحس من هنا!

وقتئذ استولى على مسمعِه صوتًا يألفه جيدًا؛ صوت الحاجة زينب جارته في القريةِ، وفي الحقلِ أيضًا ـالحاجةُ زينب امرأة سبعينية العمر، منحنية الظهر، لديها شلوخ مرتسمة في وجهها عفا عليها الزمن، ورثتْ حقلها من زوجِها الشيخ حمد عمدة القرية السابق، والتي سُميت تيمنًا باسمِه ـبارتجاف ينم في صوتها استطردتْ قائلةً:

- أما زلتْ تعاني من تلك الطيور؟

أجابها حاج مصطفى ذي الخمسة عقود وقد كان عمدة القرية زمانها، وقد نُصِّب بالترشيحِ نظرًا لحكمته وحنكته وأسلوبه الجذاب والأنيق في الحوارِ والتواصل مع عمداءِ القرى المجاورة:

- أجل، ويبدو أنيَّ سأعاني مثل كل عام ولا أحصد شيء يذكر، ماذا عنكِ يا جارتي؟ لِمَ لا أرى الغربان تحط في حقلك؟

أردف رده ضاحكًا:

- ما هي التعويذة التي تمارسينها؟

ابتسمت ابتسامة خفيفة وأجابته بالصوت المُرتجف ذاته:

- تعويذة! ماذا تقول أيها العمدة؟ ألا ترى هذه الفزاعة هي كل ما أملكه وقد ورثتها من شيخ حمد "رحمه الله."

آجابها مُبتسمًا:

- "رحمه الله" يا لكِ من سعيدة الحظ! سأصنع غدًا واحدة لي بإذن الله.

إلا أنها فاجئته بردها الآمر:

- لا وقت لصنعها، أنت تحتاج لكل دقيقة لتبذر وتزرع، وحتى توفر الساعات عليكَ اذهب واشتري واحدة من وسط البلدة، لا تتعب نفسكَ يا حاج.

انصاع الحاجُ مصطفى لنصيحةٍ جارته العجوز وانتظر بزوغ الشمس بفارغ الصبر ليحضر "خيال المآتة."

أعلنَ الديكُ بصياحِه عن بدايةٍ اليوم التالي حلقَّت بأجنحتها الطيورُ باحثةً عن قوتِها بين الحقول وبالأخصِ التي لا فزاعات فيها، أدار الحاجُ مصطفى محرك سيارته قديمة الطراز (البوكسي) وأطلق صافرة البداية، اتجه إلى وسط البلدة منشرح البال زارعًا ابتسامة في ثغره، يطل بها على كُل المارة، يتوقف لكل من يشير له ليوصلهم في طريقه إلى وجهتهم من دون مقابل -الرجل النبيل- هكذا كان لقبه وسيظل كذلك. وفي الطريق ذاته استوقفه رجل طاعن في السن لربما تجاوز التسعين من عمره، يظهر من شكله أنه غريب بعض الشيء، ليس من القرى المجاورة -ربما يكون عابر سفر- هذا أول ما خطر ببال حاج مصطفى، تحدث بصوتٍ ضعيف طالبًا الماء، فقدم له ما أراد، خطف العجوز الماء وبدأ يشربه بسرعةٍ ويرتعش مع كل رشفة تنساب في جسده، وكأنه أرض جرداء افتقرت للماء فآتاها الغيث من السماء. بعدما فرغ ذلك العجوز، أخذ شهيقًا تبعه زفيرًا، ثم استرسل قائلًا:

- شكرًا لكَ يا بني، إلى أين تمضي؟

لحظتها شرح له حاج مصطفى عن ماهية رحلته، ابتسم العجوز واستطرد:

- يا لفرحتك! عندي ما سيدهشكَ أيها النبيل.

ذهب إلى طرف الطريق وعاد مجددًا مُتكئًا على عصا بيده اليمنى، ويجر شيئًا بيده الأخرى، ثم نظر إلى حاج مصطفي وأردف:

- خذ هذه الفزاعة، لقد ورثتها من والد زوجتي، سأعطيك إياها مقابل أجر الماء.

رفض الحاج مصطفى أخذ هديته وأخبره أنه لم يفعل ذلك ليحصل على أُجرةٍ له، ولكن إنَّ أصر على ذلك فهو مستعد لشرائها منه، وبعد كثير من المحاولات الرافضة لبيعها نجح العجوز في إقناعه بأخذها.

مسائها عاد إلى حقله غرز الفزاعة ثم مضى إلى بيته مرتاح البال، ومنذ ذلك اليوم ما عادت الطيور تزعجه، لكن أيضًا بدأت المشاكل تتوالى على القرى المجاورة دون أن يدري أحد عن أسبابها. في كل ليلة من اكتمال البدر تشتعل نيران في قرية، يُحرق حقل مزارع، تختفي دجاجات أحدهم، وتلك النيران لا تُخمد إلا وقد أحرقت كُل شيء ولا تُخلف وراءها إلا الرماد. عندما سألوا شاهد عيان قال لهم أنه قد شاهد ظل رجل يرتدي قبعة من القش، ضعيف البنية طويل القامة ممسكًا عصا بيديه اليسرى، ونشَّاب باليمنى يخترق النيران مما يزيد من إشعالها فيصعب عليهم إخمادها ما لم تحرق كل شيء، لم يكُ ذلك

الشاهد هو الوحيد؛ بل كل من خلفتْ له النيران رمادًا ونزح من قريته أيَّده في ذلك. أما عن قرية الشيخ حمد ففي كُل ليلة كان أهاليها يسمعون أصواتًا غريبة أشبه بتهشمِ جوز هند، ضحكات مريبة، همهمات متداخلة في بعضها.

اجتمعوا يومًا ما عند منزل الحاج مصطفى والذي بدوره قال لهم:

- سنعين فرقة من أعتى وأقوى شبابنا، ليستطلعوا على ما في القرية!

وافقه الأهالي خشية أن يفقدوا بيوتهم، أسرهم وزراعتهم، وأن يضطروا إلى النزوح كما فعل أهالي القرى الأخرى.

في الليلة المنشودة اجتمع أربعة شباب تجهزوا وأعدوا العدة لهذا اليوم وانطلقوا كُل منهم في جهة من الجهات الأربع. مضى الوقت ولم يحدث أيّ شيء غريب، فقط سكون الليل الموحش يخالطه عزف صراصيره، وبعد هنيهة سمعوا الهمهمات، تبعتها صرخات حادة، دندنات أغنية بصوت حرش: "أربعة شباب الليلة سيقتلون لن ينجو منهم أحد، ماذا تظنون؟ أربعة شباب الليلة سيقتلون لن ينجو منهم أحد، جميعهم سيموتون" لم يسمعْ هذه الأغنية سوى هؤلاء الأربعة فقط، وبدوا بالركضِ فزعًا من خشونة ذلك الصوت وأثناء ذلك تعثر أحدهم وسقط على مسنأة اخترقت بطنه، وانغرست في أحشائه؛ وتناثرت دماؤه وملأت الطريق، فصار الصوت يردد:" ثلاثة شُباب

الليلة سيقتلون، لن ينجو منهم أحد ماذا سيظنون" وقتها عَلِم الثلاثة بخسارةِ أحدهم ولكن من هو لا يدرون؛ فكلٌ في جهته يقاوم لكي ينجو بنفسه، ركضوا ولكن لم يعلموا إلى أين سيركضون! بدأت الأغنية تتناقص في كل حين:" شابان اثنان، اليوم سيقتلان، لن ينجو منهم أحد، ماذا سيظنان، شاب واحد اليوم سيقتل، لن ينجو أبدًا ماذا سوف يفعل!" لحظتها علم "سيد صالح" وهو ابن أخت "حاج مصطفى" أنه الوحيد الذي بقي، وقتئذ كان الفجر قد شارف على الحلول، عادتْ الفزاعةُ إلى الحقلِ وكأنها ما تحركت، تفاجئ أهالي القرية صباحًا أن جميع الشُبان قد قتلوا، عدا "سيد صالح" كانت أنفاسه تتصاعد وجسده قد تسَّمر وتجمد بشدَّة، أمسكه "حاج مصطفى" وحاول أن يسقيه بعض الماء بيد أنه رفضه، كان يردد بصوت خافت:" ال..الف..الفزاع.." لحظتها جحظت عيناه لأعلى، وفارقت روحه الحياة.

خَلَتْ الأيام وقصة الرجل صاحب الظل الطويل الذي يحرق الحقول انتشرت في كل البلدة والبلدان التي حولها وقُرَاها، ليست على نطاق قرية (الشيخ حمد) وحسب، قال شاهد عيان آخر: "أنه رآه في ليلة الربع الأخير من الشهر في حقل "الحاجة زينب" ثم تحرك شرقًا باتجاه المقبرة، وعندما تبع الظل وجده

قد نبشت قبر "سيد صالح" الذي قُتل قبل شهرين، وقتها قد رأى رسومات غريبة على كفنه وعلامات كأنها رموز لشيء ما مفقود، أو ربما لعنة غضب!" وأثنى على كلامه "الشيخ مختار" العجوز الذي يشرف على المقبرة، ثم أضاف أنه ما إن أشرقت شمس الصباح التالي حتى وجد القبر على حاله وكأنه ما نُبش.

بدأ الرعب يعم خافق كُل كبير وصغير في القرية، ما إن تغيب الشمس حتى يختبئ الكل في منزله ونزح من أراد من القرية. مرت الأيام والشهور وما زال الحال كما هو وقد أُحضر عدد من الشيوخِ لمعرفةِ الأمر ومن هو عدوهم الخفي فلم يصدق أحدٌ أنها الفزاعة كما سيد صالح قبل موته، ولكن جميعهم قتلوا بطريقةٍ بشعة جدًا وما زالت تلكم النيران تشتعل شهر تلو الشهر، مع ملاحظة لاختفاء بهائم بعض المزارعين، وفي الآوانة الأخيرة حدثت جرائم قتل لشبابٍ وأطفال كانوا يلعبون بجانبٍ حقل الحاج مصطفى، فلاحظ العمدة هذا وأن الأحداث هذه بدأت حقًا مذ وصول خيال المآتة، حاول إخبار أهالي القرية أنه لربما كان صحيح أن الفزاعة هي السبب وقتها دبَّ الذعر في أجسادهم مما قاله، فاستطرد شيخ مختار قائلًا: الخرافة تقول يا عمدة "إن حرق أو رمي أو أي محاولة لإبعاد الفزاعة قد تعود بصاحبها باللعنةِ الدائمة وكما رأيت بأم

عينك كم من شخص قد قُتل، كما أن فكرة تصديق ذلك فقط قد تؤدي بخسارة القرية بأكملها لذا سنرفض تصديق هذا.

إلا أن حاج مصطفى لم ينصع لكلماته تلك، وقرر تولي أمر الإطاحة بها بنفسه و إبعاد الشر عن القرية، تلك الدمية الفارغة التي لا روح فيها والتي نجحت بجعل البلدة كلها ترتجف عند ذكر قصتها، وكذلك نجحت في إبعاد الغربان عن حقله -سوى أنه طفح الكيل وحانت نهايتها- لم يعلم الحاج مصطفى ماهية ذلك العجوز بإعطائه لعنة، رغم أنه قدم له الماء بنية صالحة لا شر فيها، ظلت تلك الأسئلة في عقله طوال الليل. عندما هربت أشعة شمس اليوم التالي من سباتها لتضيئ العالمين، كان قد استيقظ مُسبقًا بكل حيوية ونشاط، ارتشف إبريقًا من الشاي الساخن، وأردفه بإبريقٍ من القهوة الطازجة التي تُعدَّها زوجته حليمة كُل صباح، قَبّل ابنته الوحيدة فاطمة ودَّعهما وأوصاهما على الاعتناء بنفسهما، دلف إلى الفناء فتح بابه على مصرعيها أخرج سيارته وقادها نحو حقله، اقتلع الفزاعة التي تشبثت في الأرض بصعوبةٍ، وضعها في ظهر السيارة ثم أتجه نحو الجنوب، ومنذ ذلك اليوم لم يسمع أحد أي شيء عن الحاج مصطفى والفزاعة، وانتشرت الإشاعات بقولهم أنها قتلته، وأنه قد قَدَّم بروحه قربان لها، وأخرى تقول أنه

حرقها إلا أن لعنتها أصابته وتحول إلى فزاعةٍ، ولكن ماذا عنكم ما هي إشاعتكم؟

روحٌ هاربة

"إنها هي ما زالت تلاحقني بلا شك، ولن تنسى ما فعلته تلك الليلة"

الليلُ ما زال متوخمًا ساج الجميع يغط في نومه، الهدوءُ يعم المكان فلا تسمع صوتًا ولا حركة، لم يخالطْ هذا السكون شيء غريب حتى أتى صوت ذلك الطرق على البابِ الخارجي لشقة الدكتورُ تشارل، الذي نهض متكاسلًا ليفتحه، التقط نظارته تزمجر قائلًا:

"-من قد يزروني في هذي الليلة الدلماء؟"

أضاء مصابيح الغرفة ومضى نحو الباب ولكن نسمة هواء باردة أوقفته، تفاجئ حينها واتسعت حدقتا عيناه حينما رأى باب شقته مفتوح على مصرعيها ونوافذ الصالة الأمامية كذلك، اتجه نحو الحائط ليشعل المصابيح خشية أن يكون هناك لص في منزلِه، بيد أنه لم يرَ أحد، اتجه ناحية الباب وأغلقه وحينما ذهب ليطفأ الأضواء كانت قد سبقته هي وانطفئت لوحدها قال لنفسه:

"-هل تعطلتْ يا ترى؟ لربما سأضطر إلى تغييرها غدًا"

وقبل أن يبتعد من مكانه انفتحت الأبواب مجددًا، فالتفت مسرعًا ناحيتها، توجسته الرهبة وتساءل في نفسه عن الذي يحدث معه، حتى رآها، تدخل بالباب عيناها حمرواتين، ولونها ينصع بالبياض عدا وجهها كان أسودًا ومشتعلًا بالنيران، تمد يديها ناحيته وهي تردد:

"-لِمَ تركتني أموت؟ لِمَ؟"

"_تينا؟"

"-أجل تينا التي قتلتها"

"-لا، أنت مخطئة"

لا تأبه تينا بإجابته ظلت تقترب ناحيته، فهرب منها وحينما حاول النداء على الجيران كان صوته قد اختفى، حاول أن يصرخ بأي ثمن لم يسطع أن يخرج ولا ثمة حرف ليشكل ولو تلك الكلمة التي تكتنف في خلده ألا وهي "النجدة!"

حاول وحاول:

"-لا تقتربي مني، أرجوكِ سامحيني"!

هكذا استيقظ الدكتور تشارل هلعًا، مرددًا هذي الكلمات.

الغرفةُ، السريرُ، الأدويةُ، وتلك الكنبة بجانب النافذة، إنها بلا شك غرفته، وقتئذ أدرك أن كل ما شاهده قبل قليل ما هو إلا محض كابوس كغيره من تلك

الكوابيس التي تزوره مؤخرًا كُل ليلة؛ لقرابة الشهر وأكثر، تناول فيما بعد علبة الدواء من الطاولةِ التي بقرب سريره، آخذ منها "كبسولة" وابتلعها، مرتشفًا بعدها كأس من الماءِ، تنهد لبعض الوقت وبدأ يتذكر كل ما حدث معه خلال بضع سنوات مضتْ، إلى أن غط في النومِ مجددًا.

****

تنفستْ شمس الصباح وانبثقت أشعتها على أرجاءِ الكوكبِ، وانتشرت الضوضاء مع أهلها وخاصة في مدينة لوس أنجلوس التي تعج بالكثيرِ من السُكان؛ حيث نجد عمارة "جين فليف" التي يقطن فيها الدكتور "تشارل مانيلا" ذي الأثني وثلاثين عام في الطابق الرابع من تلك العمارة، الشقة التي تطل على شارع الحي. بعدما ألقى التحية على جميع الجيران من شرفته الصغيرة، جلس الدكتور كعادته يقرأ جريدته الصباحية، ولا تخلو هذه الأجواء من قدح القهوة التي تعدها جارته الآنسة مارغريت ذات الشعر الأشقر؛ فقد كانت تعد قهوة لذيذة شهد عليها جميع من في الحي، لذا كلَّفها تشارل أن تعدها له كُل صباح. عقاربُ الساعة تُشير إلى الساعة السادسة والنصف

صباحًا، رائحةُ الياسمين تنبعث من شرفةِ مارغريت من الجهةِ اليمنى لشقته؛ لتداعب أنف تشارل ومن الشرفة التي عن يسارِ شقته، كانت الأناشيد الوطنية تنبثق من مسجل الصوت الكلاسيكي الذي يملكه الجندي العجوز دانيال كما لا تخلو الأجواء كذلك من ضجيجِ الأطفال وضحكاتهم، التي تنبعث من الشارع كذلك وهم يهتفون على أخت مارغريت الصغرى تينا ذي العشرة ربيعًا بالنزولِ لأجل اللعب.

تتعالى ضحكات الأطفال وتتداخل أصواتهم وهم يهتفون على تينا، حتى يأتيهم صوت تينا:

"انتظروني يا رفاق، أنا قادمة "

تتغير لهجة ونبرة الأطفال:

"-تينا توقفي، لا تأتي، لن تلعبي معنا بعد اليوم، لقد تأخرتي"!

تصرخ تينا:

" _ساعدوني"!

ينظر تشارل من أعلى شرفته ليرى أن كُل شيء طبيعي، إذًا لِمَ تطلب تينا المساعدة، ما زالت الرائحة تداعب أنفه، ويخامر أذنيه صوت الأناشيد، عاد ليقرأ جريدته _"الصفحة الثانية من جريدة "نيوز" العنوان بالخط الأسود

العريض اليوم الحادي عشر من أبريل، حريق في حي من أحياءِ مدينة لوس انجلوس في ولاية كاليفورنيا تروح ضحيته طفلة بعمرِ العشر سنين"ـ ثم يرى صورة تينا وهي باسمة أمامه، يذهل من هذا المشهد الذي أمامه، حتى تتحرك صورة تينا وتتحدث إليه:

"عمي الدكتور، لِمَ لم تساعدني؟"

يرمي لحظتها تشارل الجريدة أرضًا ويركض ناحية شقة مارغريت يطرق الباب بشدَّة، تأتي مارغريت لتفتح الباب، أما عنه يندفع بسرعة ناحية شقتها وينادي بأعلى صوته:

"-تينا، تينا"!

تجيبه مارغريت أنها تلعب بالأسفل مع الأطفال، فركض ويلهث وهو نازل من على الأدراج ويقول في نفسه:

"-هذه المرة سأنقذها بلا شك"

يصل إلى الشارع، الضوءُ القوي يهاجم عينيه، يصرخ وينادي:

"-تينا، تينا"

يجيبه الأطفال بصوت واحد:

"-تينا لم تنزل من الأعلى بعد، وستفوتها اللعبة يا عمي الدكتور"

يرتفع صوت الأطفال وهم يرددون جملتهم الأخيرة، تزداد حدة صوت المسجل لترتفع بذلك طبقة الأناشيد حدّة، ويأتيه صوت الجندي العجوز ليقول له: "إن تينا قد ماتت يا بُني" ومن بين تلك الضجة كلها تأتيه تينا المتفحمة بالنارِ لتقول له: "لِمَ لم تساعدني عمي الدكتور؟"

يستيقظ تشارل في هلعٍ للمرة الثانية ليعلم أنه قد ولج في كابوس مجددًا ثم يجلس على حافة السرير ليحدث نفسه:

"-مضتْ ثلاث سنوات على تلك الحادثة وما زال خيال تينا يلاحقني في الأحلامِ، يجب أن أزور الدكتور باولو هذا اليوم، فحالتي يرثى لها"

يقفز بسرعة من سريرِه، وهو يشعر أن أنفاسه تتسارع وعرق بارد يسيل على جبينه. ارتدى ملابسه على عجل، وحمل حقيبته الطبية، متجهًا نحو باب شقته. لكنه قبل أن يغادر توقف للحظة وهو ينظر إلى المرآة الكبيرة في غرفة الجلوس. كانت عيناه مملوءتين بالقلق والخوف، وقد بدا شاحب الوجه، منهكًا من ليالٍ طويلة بلا نوم.

"يجب أن أزور الدكتور باولو الآن، لا يمكنني الانتظار أكثر" قال لنفسه بصوت مرتجف، واستعد للخروج، وبينما كان ينزل على الدرج، قابل مارغريت عند الباب الخارجي.

-دكتور تشارل تفضل قهوتك الصباحية، ومالي أراك مضطربًا اليوم على غير العادة؟ قالت له كلماتها تلك بابتسامة باردة وعينين لا تخفيان مشاعر غريبة.

-لا، لا أريدها شكرًا لك، فقط! آخ مارغريت كنت أعاني من كابوس مزعج مرة أخرى، أجاب متجنبًا النظر في عينيها.

- أوه، الكوابيس مجددًا؟ هل حقًا ترى تينا تلاحقك؟ نطقت مارغريت بنبرة غامضة وهي تقلب فنجان القهوة في يدها.

توقف تشارل لحظة وهو ينظر إليها بشك، كانت كلماتها دائمًا تحمل معنى مزدوجًا؛ كأنها تعرف أكثر مما تقول، لكنه هز رأسه وغادر سريعًا قبل أن يتورط في نقاش غير مريح معها.

عندما وصل تشارل إلى مكتب الدكتور باولو، حاول أن يشرح له ما يحدث، لكن الأخير بدا قلقًا وسأله أسئلة أكثر عمقًا عن الحادثة التي تخص تينا.

-هل تينا كانت قريبة منك؟ وهل لاحظت أي شيء غريب قبل وفاتها؟

تشارل تردد للحظة ثم أجابه حينها: كانت الحادثة مفاجئة، كان هناك حريق في شقة مارغريت، كنت أحاول الوصول إليها، لكن النار كانت قد اشتعلت بالفعل.

الدكتور باولو نظر إليه بجدية وأخذ يدوّن ملاحظاته على دفترته الأزرق الصغير الذي بين يديه، ثم استطرد قائلًا بلهجة تحمل الجدية ذاتها مثلما النظرات: "ربما ليست مجرد كوابيس، يبدو أن هناك شيئًا آخر يحدث، مثلا الأرواح المعذبة أحيانًا تحاول الانتقام، وقد تكون أنت جزءًا من هذه اللعنة، ربما تظن تينا أنك من أشعلت النار، وربما ضميرك يؤنبك أنك لم تنقذها، لكن عليك ملاحظة هذا الأمور، فأنت تناولت الكثير من الأدوية والمهدئات، وسأعاود القول أن الأمر أكبر من كونه مجرد كوابيس.

زرع الدكتور باول في رأس تشارل الشك، وعندما عاد يومها إلى شقته باكرًا على غير عادته، فقد كان يبتعد من المنزل خوفًا من محاصرة تلك الكوابيس له في وضح النهار، وقتها لاحظ بينما هو يصعد على السلم أن الاجواء أكثر غرابة مما اعتادها، وأن الأضواء في شقة مارغريت تتذبذب ورائحة دخان بدأت تعبق المكان،وحينما ولج إلى شقته نظر إلى نافذته وقد كان ينعكس ظل مارغريت، فنهض واقترب نحو تلك النافذة محاولًا تكذيب ما رأته عينه، حتى فتح النافذة ورأها تجلس أمام مرآة وهي تتحدث بصوت غير طبيعي، الكلمات كانت غير مفهومة، لكنها كانت تكرر اسم تينا مرارًا.

- أنتِ من فعلتِ هذا أليس كذلك؟! صرخ الدكتور عندما اقتحم شقة جارته دون استئذان.

استدارت إليه مارغريت ببطء، عيناها متوهجتان وابتسامة شيطانية ارتسمت على وجهها.

-يالذكاء! نعم أنا من استدعت روح تينا. إنها تريد الانتقام، وأنت تستحق العقاب.

-لكن، لماذا؟ ماذا فعلت لها؟

-لأنك كنت هناك، ورأيتها تموت ولم تفعل شيئًا! وأنا سأجعلها تعيش من جديد، لكن بروحها المعذبة، ولن تكون النهاية كما تتوقع.

في تلك اللحظة، بدأت الغرفة تمتلئ بالدخان، وأصوات تينا تعلو في كل مكان. بدأت الأبواب والنوافذ تُغلق من تلقاء نفسها، وكلما حاول تشارل الهرب، يجد نفسه محاصرًا. لكن ما لم تتوقعه مارغريت هو أن استدعاء الأرواح يتطلب قوة تفوق قدرتها، وقد بدأت آثار القوة السحرية تستهلك جسدها ببطء.

حاول في لحظة يأسه أن يستعين بذكرياته الطبية محاولًا إيجاد طريقة لتعطيل الطقوس، لكن قبل أن يتمكن من فعل شيء، انهارت الأخرى على

الأرض وعيناها مفتوحتان بشكل مرعب، وكان جسدها قد تفحم بالكامل، كان آخر صوتًا حتى خامر أذنيه هو صرخة تينا، بعدها اختفت كل الأصوات فجأة.

بعدها وجد تشارل نفسه في شقته مجددًا، لكنها لم تكن كما كانت من قبل، كل شيءٍ بدا طبيعيًا، لكن الجيران أخبروه أن مارغريت اختفت، ولم يعثروا على أي أثر لها، والأغرب من ذلك، أن الشقة بدت وكأنها لم تُستخدم منذ سنوات.

عاد تشارل إلى غرفته، نظر في المرآة، ورأى انعكاسه، لكن خلفه كانت تينا تقف وتنظر إليه بابتسامة خفيفة، ثم اختفت كما ظهرت.

منزل وظلال

سكون موحش يُغازل هدأة الليل، وثمّة غيوم تجوب السماء تداعب القمر بين الفينة والأخرى، هواء عليل يراقص الأغصان، ولا صوت يعلو على نُهام البوم إلا حفيف الأشجار؛ ليكملا معًا لحنًا نشازًا يغازل هو الآخر جُنح الليل، ورغم أن الليلة كانت قمراء، إلا أن ضوء القمر كان غائبًا، فالغيوم عبثت برتابة المساء وكأنها ستشن غارة على السماء، بدا وكأن الحظ العاثر قد قرر التدخل، فالسيارة تعطلت في منتصف الطريق، وكان ذلك بعد مهاتفة الجدة المتكررة لحفيدها (مؤيد) التي أصرت على زيارته؛ لقضاء ما تبقى من عطلته الصيفية معها، بالرغم من أن تحذيراتها له من السفر ليلاً كانت واضحة، لكن يبدو أن القدر أراد أن يكشف له سرًا خفيًا في هذا الوصول المتأخر.

ترجل مؤيد عن سيارته على أمل أن يجد سيارة تقلّه إلى أقرب محطة أو على الأقل تُخفف من وحشة الطريق، مشى على الطريق المظلم، ولم يلتقِ حتى بظل عابر.

تسلل اليأس إليه وبدأ يشعر بطول المسافة للمرة الأولى، حين تكون السيارة رفيقته، يكون الطريق أقل وحشة، ويملأه بصوت الأغاني التي يدندنها، أو

برؤية الحسناوات في طريقه. يومها قرّر الانتظار حتى بزوغ الشمس أو العودة إلى السيارة، لكن السماء قررت أن تعطيه تحذيرًا آخر.

قصف الرعد، ومضان البرق، واندفعت الرياح العاتية معلنةً اقتراب المطر، تسرب البرد الشديد إلى جسده وتغلغل حتى أدرك أنه لا يستطيع مقاومته، رغم افتخاره بعضلاته وقوته. بدأ جسد مؤيد يرتجف فتقوقع على نفسه بحثًا عن الدفء، في خضم هذا البرد القارس، شعر بلمسة باردة على كتفه، كان هناك شيء أشبه بالجليد، بدايتها داهمه الذعر، وأخذ قلبه يدق كالطبول لكن حين التفت رأى طفلة صغيرة، لا تتجاوز الثامنة من عمرها؛ رغم دهشته بدت تلك الطفلة هادئة، ويكأن وجودها في هذا المكان الموحش كان أمرًا طبيعيًا، بنبرة طفولية ناعمة تحدثت إليه، لكن كلماتها لم تكن مفهومة تمامًا؛ تحدثت عن عالمٍ غريبٍ، وسألته عن هويته وكأنه غريب من عالم آخر. تلك الصغيرة لم تكن ضائعة كما بدا للوهلة الأولى، فقد أشارت إلى منزل قريب، وقالت لمؤيد أنه منزلها، لم يتردد ذلك المسكين الضائع في السير معها، فكل ما كان يريده هو مكان يقضي فيه ليلته. بدا البيت صغيرًا وجميلًا من الخارج، ولكن داخله حمل إحساسًا غريبًا.

لحظتها كان مليئًا بالصخب والموسيقى العالية، كأن سكانه يحتفلون بحدثٍ ما، ومع ذلك لم يكن هناك منازل مجاورة أو جيران، وهذا ما زاد من شعوره بالغموض. لكن عندما ولجت قدماه إلى المنزل حقًا أدرك أن هناك شيئًا غير طبيعي، فقد كان مليئًا ببعض الأشخاص الذي يرقصون بجنون، لكن من أين جاء كل هؤلاء، أو كيف لهذا البيت أن يحملهم جميعًا، كيف يصمد هذا البيت في هذا المكان المعزول؟

لحظتها اقترب منه رجل وامرأة، وبدا أنهما والدا الطفلة، تحدثا بلهجة لم يفهمها واستنكر ذلك رغم إتقانه لعدة لغات، طلب منهم بلغة الاشارة مكانًا يقضي فيه الليلة، فأشارت الأم إلى الطفلة أن تقوده إلى العلية، قادته الطفلة التي أدرك لاحقًا أن اسمها "كاتيا" إلى غرفة أنيقة، استلقى على السرير محاولًا تجاهل الشعور الذي يغمره، ولكن عينيه اصطدمتا بصورة معلقة على الحائط؛ كانت صورة لامرأة عجوز، وبدأت عيناها تتحركان ببطء وتنظران إليه مباشرة، حاول تجاهل ما يحدث إلا أنه شعر بشيء مرعب يقترب منه، وقد كان ذلك الشيء هو رأس لرجل عجوز خرج وتقدم نحوه، وينظر نحوه بعينيه المتوهجتين، هرب وقتها من الغرفة مهرولًا، دون أن يصدر صوتًا،

حتى وجد نفسه في تلك الصالة والتي بدت هادئة على نحو غريب، أين اختفى الجميع؟ أين تلك الضجة؟

الغرفة كانت مضاءة كما هي لكن الراقصين اختفوا، المكان بات مرعبًا جدًا، فحينما نظر من النافذة وجد أن هذا المنزل ما هو إلا بوابة لعالمٍ آخر، هناك الكثير من المنازل خارجًا كيف ومن أين أتت هذه، فعندما قدم إلى هذا المكان قبيل دقائق معدودة لم يكن هناك ولا ظل أحد والآن عالم بأكمله؟

تنهد وأخذ شهيقًا وزفيرًا، حتى ظهرت أمامه امرأة فاتنة، بملابس فاخرة وجمال مُبهر، فحكت له عما رآه وأخبرته بكل هدوء أنهم ليسوا بشرًا، بل شياطين.

تساءل مؤيد عن من هي هذه المرأة، فكانت هي ذاتها تلك الفتاة الصغيرة فكيف تحولت إلى هذه المرأة ذاتها، لكنها لم تكن ترغب في إيذائه؛ أخبرته أنها ستساعده في الخروج؛ ولأنه أبدى شجاعة في موقف سابق، قررت مساعدته، لكن عليه العودة إلى الغرفة، وكأنه شيء لم يحدث، وعليه تجاهل كل ما يحدث حوله، فوافق وعادت معه إلى الغرفة، حيث كان جسد العجوز بلا رأس يجلس على الكرسي، والرأس يحدق فيه من أعلى السرير، لحسن حظها تمكن من التماسك حينها، حتى طرقت "كاتيا" الباب وطلبت من

العجوز أن تأخذه في جولة قبل العشاء، فوافق ذلك السجان الذي كان يحاصره ويراقبه حتى لا يهرب. لحظتها عرف أن الأمر كان أكبر مما تخيله، فقد كان هو العشاء، لم تكن الشياطين تأكل البشر، ولكنهم كانوا يستمتعون بتعذيبهم أو بقتلهم، فقررت "كاتيا" مساعدته، ودلته على طريق الهروب. قادته إلى غرفة مظلمة تحت الأرض، حيث فتحت بابًا سريًا قادهم إلى الغابة، ركضا معًا نحو شجرة ضخمة في وسط الغابة، وفي لحظة أفلتت يديه وأخبرته أن رحلته معها انتهت هنا، و إن أراد الخروج يجب عليه أن يمسك بالشجرة، يتلو مع يحفظ من الآيات القرانية؛ وهي ستودعه هنا لأن القران يحرقهم، لكن يجب عليه عدم النظر خلفه أبدًا مهما سمع من أصوات، وقتها سيكون قادرًا على العودة إن أغمض عيناه، لكنها لن تغادر جسده، ستكون معه إلى الا بد.

ركض نحو الشجرة، تلى الآيات كما أوصته، حتى وجد مؤيد نفسه فجأة واقفًا بجوار سيارته، ووجد أن السيارة لم تكن معطلة لكنها إحدى اللعنات وتحذيرات الليل، قادها بسرعة نحو منزل جدته، ووصل قبيل الفجر بقليل، رغم وصوله آمنًا لمنزل جدته، إلا أنه لم يستطع التخلص من الشعور بوجود

"كاتيا" معه، الحمى استبدّت بجسده من الخوف، وبقيت الجدة تتلو عليه الآيات، من وقت لآخر، وقت كانت هذه أسوأ إجازة صيف لمؤيد.

"ما زال طيف الريتا حُرا لم ينل كامل انتقامه،
هل ستصب غضبها علينا يا ترى؟"

طيف الريتا

انتفضت شمس الصباح في قرية النعمان؛ لتعلن انتصارها على حلكة الليل، وانتفض الديك بريشه ذي اللون الأحمر ويعلن بصياحه بداية يوم جديد، غَرَّد بلبل الكروان بين أربعة قضأن، في أحد بيوت تلك القرية لحنًا عذبًا وسعيدًا، سار كُل فلاح إلى حقله، وكل عامل إلى عمله.

صوتٌ ذكوري جهور قادم من بيت البلبل ذاته:

-ريتا، أسرعي بابا، أنا في عجلة من أمري، تعلمين بأمر محكمتي اليوم.

تجيبه صوت أنثوي فاتن:

-أحمد، لا تتعمد إزعاج حبيبتي الريتا!

المحامي أحمد عادل، وأسرته الصغيرة، المكونة من زوجته مها وابنتهما الوحيدة "رؤى" وتُلقَّب بالريتا -والذي يعني اللؤلؤة الثمينة والغالية- ولدتْ ريتا في "مدينة السلطان" التي لا تبعد كثيرًا عن قرية النعمان، كبرت وترعرعت فيها وقد كانتْ فتاة فاتنة الجمال، متوسطة الطول، سمراء البشرة، تمتلك شامة على وجهها تعلو شفتها من الجهة اليمنى. منزل المحامي في المدينة عبارة عن قصر فاخر، يتمنى الجميع الولوج إليه، وغرفة الريتا وكأنها

جناح في فندق خمسة نجوم، تُجيد أميرة أبيها المدللة العزف على الكمنجة، وقد كانت تعزف كل ليلة هي وبلبلها والتي أطلقت عليه اسم "ريتو" ألحان سعيدة، أما في القرية فتعيش في بيت جدتها، والذي ورثته أمها عن والدتها حديثًا، وقد كان كل صيف بمثابة النعيم للريتا، كيف لا وقد اعتاد المحامي أحمد أنَّ يأتي هو وأسرته الصغيرة إلى تلك القريةِ، بعيدًا عن ضوضاءِ المدينة، صخبها ولوثها بيد أنه يعود إليها كُل يوم أربعاء لقضاياه المهمة، واليوم أربعاء الثالث من مايو لديه آخر جلسة له في قضية مهمة جدًا، والتي أقسم مسبقًا على أن ينتصر فيها. أما عن ابنته فقد كانت تود الذهاب لعيد ميلاد صديقتها العزيزة التي تقطن بالمدينة، ربما تعود مع والدها وربما لا؛ فقد كانت وحيدتهما، وصديقتهما، وطفلتهما المدللة، فكبرت الريتا تحت غنج ودلال والديها ولم يحرماها من أيَّة شيء، وكانا يلبيان كُل طلباتها إلا أن حادثة مؤلمة تسببت بإختفائها فجأة؛ حيث تبدأ تفاصيل القصة منذ أربعاء ذلك اليوم الذي ربح فيه المحامي أحمد قضيته على السيد عدلي؛ وهو أحد الرجال ذوي النفوذ والسلطة، بتهمة رُفعت عن سابق الرصد والقصد، أنه وأعوانه يتاجرون بالممنوعات، بالرغم من سلطته ونفوذه الكبير، استطاع المحامي بحنكته وذكائه الفوز عليه. الآن من سيجعل نار الحقد التي في دهاليز عدلي

تخمد؛ فقد قرر الانتقام من أحمد وبطريقته الخاصة، بينما هو في زنزانته الضيقة تلك، أمر بإرسال اثنين أو أكثر من رجاله لخطف الأميرة المدللة، بعد مراقبة تحركاتها جيدًا، حتى لا تُثير الشبهات، وأن يختاروا يومًا يتأخر فيه والدها عنها ولو لبضع دقائق. مرَّ شهر كامل وهم يراقبونها في تلك القرية إلا أنها لم تكن تخرج من البيت لوحدها، إلى أن انتهت إجازة الصيف، وقد مل رجال عدلي مراقبتها، وقد آن أوان عودة الريتا إلى المدينة و إلى مدرستها كذلك.

في مساء اليوم الذي يسبق الليلة المشؤومة تستيقظ الريتا فزعة من نومها صارخة وطالبة النجدة، يهرول إليها والداها على وجل ناحية غرفتها، ليعرفا ما قد حل بصغيرتهما، فتخبرهما أنها قد رأت كابوس مخيف وأنها بلا عينين أو أن عينيها مثقوبتان، ترتجف ثم تبكي، تحتضنها والدتها سريعًا وتهدئ من روعها، وتطلب منها أن لا تذهب إلى المدرسة في اليوم التالي لانقباض قلبها وخوفها عليها إلا أن الريتا ترفض البقاء في المنزل، لاهتمامها المفرط بدروسها.

في ظهيرة اليوم التالي بينما كانت تنتظر والدها لتعود معه إلى المنزل، تتم وتنجح عملية خطفها، كانت الريتا تقاوم لأجل الهرب بيد أنها لم تفلح من أن تنفك من قبضتهم .

أخذها خاطفوها إلى الطريق مهجور وبعيدًا عن المدينة، إلى أن استقروا في مستودع المخلفات، بعدها اتصلوا بسيدهم عدلي، والذي قال لها ساخرًا:

-تك توك تك توك وحتى الأمس كان والدكِ يظن أنه فائز، اليوم فقط سيعلم حقًّا أنه خسر لعبته الصغيرة والوحيدة.

ثم أردف رده قائلًا لرجاله:

-تك توك تك توك اضرمو النار في جسدها.

أمر قبل ذلك مساعده ويده اليمين "رضوان" أن يقتلع عينيها أولًا، حتى لا تشهد مأساته ونهايتها البائسة تلك، وليبحث والدها عن كنزه المفقود.

نفذَّ رضوان ما طلبه معلمه، ولم يهتمْ لصرخاتها، وأنَّاتها، ثم خرج وطلب من بقية الرجال حرقها، إلا أن أولئك الحقراء لم يصغوا إليه، بل انصاعوا لرغباتهم وتلذذوا بجسد الصغيرة أولًا، اغتصبوها، ثم تركوها تئن والدماء تقطر من عينيها، واحرقوا فيها المكان برمته.

خيَّم الليل وانتشرتْ ظلمته سريعًا، والريتا لم تعد بعد، غرد البلبل لحن الفقد على مالكته، يخالطه نحيب والدتها مها مع تضرع ودعاء المحامي أحمد، واللذين يظنان أن ابنتهما مفقودة، ولم يعلما حتى لحظتهما تلك أمر رحيلها الا بدي.

في صباح اليوم الثاني أعلنتْ الأخبار عن وجود حريق في مستودع المخلفات الموجود عبر الطريق الذي يربط بين مدينة السلطان وقرية النعمان، وليست هناك خسائر كبيرة، عدا عثورهم على جثة متفحمة، قد كانت ترتدي زيًّا مدرسيًا، ويبدو أنها لفتاة.

وضعتْ مها يديها في قلبها والذي ازدادت ضرباته حدَّة، ثم صرخت:

- هذه الريتا، ماتت يا أحمد.

- اهدئي أرجوك، أنا واثق تماما من أنها بخير وستكون كذلك أيضًا، لا تزيد من وسواسكِ و مخاوفكِ.

- اذهب إليها أرجوك إنها هي، ابنتي صدقني.

ولجتْ بعدها مها في غيبوبة لم تستيقظ منها، خاصةً حينما أثبت الفحوصات أن تلك الجثة هي ابنتها، أما عن المحامي أحمد فقد كاد أن يفقد عقله، إلا أنه أقسم أن يسترد حقَّ ابنته، خاصة عندما علم بأمر اغتصابها، فظَّل يبحث

عن أيَّة أدلة، يثبت بها أن عدلي هو السبب في مقتلها، ولكن لا شيء عليه، فهو ما زال في السجن.

الآن وبعد مرور أشهر على موت الريتا، ظهرت إشاعات عن سماع أصوات صرخات، وأنَّات في مكان المستودع، وأصوات إضرام حريق، نداءات وضحكات، أصوات تهدد بالانتقام.

"تك توك تك توك الساعة تدق، تك توك تك توك حل الغسق، تك توك وآن أوان الانتقام، تك توك الريتا قادمة" تناهت هذه الكلمات إلى أذن رضوان، الذي كان يصارع النوم، ولكنه لمْ يهنأ به مذ أن شارك في قتلِ ريتا، وعيناه لم تذقْ طعمه قط، أغمضهم لبرهةً، حتى استيقظ صارخًا:

- النار، النار لا أرجوكِ.

استيقظتْ زوجته على صوت صرخاته تلك، وعاتبته على عدم ذهابه إلى الطبيب فوعدها كالعادة بالذهاب حتى لا تلح عليه بالحديث، وعادا للنوم مجددا، وبينما هو نائما، سمع صوت صرخات الريتا لحظة اقتلاعه لعينيها، ثم ظهر شبحها بشعر طويل يغطي وجهها، وروح خاوية تظهر بلا عينين، تحدثت إليه وهي تبكي:

- لِمَ قتلتني؟ أخبرني لِمَ دمرت أحلام الريتا؟!

- لم أفعل، لم أفعل

- لا بل قتلتني واليوم سأنتقم منك شر انتقام

وقتها استيقظ رضوان وزوجته على صوت صرخات إحدى ابنتيهما، فركضا ناحية غرفتهما، وجد رضوان ابنته الصغيرة رضوى في الأرض والغرفة مضيئة، تلعب بدميتها لا تأبه لصرخات أختها، وريما التي صرخت جالسة فوق السرير ترتجف من أعلى رأسها حتى أخمص قدميها، ركضتْ زوجته ناحية رضوى، أما هو توجَّه تلقائيًا ناحية الأخرى، بيد أنها صرخت مجددًا قائلةً هذه المرة:

- أمي لا، لا تذهبي ناحيتها إنها ليست رضوى، هذا شبح شرير.

- ريما لا وقت للمزاح، هذه أختكِ لا تقولي عنها شبح.

انتفض شعر الصغيرة لأعلى، ثم ارتفع جسدها كذلك، وقالت بصوت الريتا المتألم:

-إنها تقول الحقيقة، أنا لستُ ابنتكما، أتيتُ للانتقام.

صرخت الأم:

- من أنتِ؟ دعي ابنتي وشأنها، ماذا تريدين؟

ابتسمت الريتا ثم ضحكت:

- نبرة الصوت الممتلئة بالخوف، الطريقة في الصراخِ كلها تذكرني بشيء ما! ما هو يا ريتا؟! ما هو؟! آه تذكرت الريتا عندما قتلتها زوجكِ

نظرتْ زوجة رضوان إليه باستنكار ، ثم أعادت النظر للأعلى:

- لا أعلم عمَّا تتحدثين، ولكن يبدو أنكِ تقولين الحق، وهو يعاقب الآن على فعلته تلك، دعي ابنتي أرجوكِ وانتقمي مني بدلًا عنها وعنه، هي لم تعرف للحياة شيء، لم أكن أعرف أنه قاتل ولكني يمكنكِ قتلي، دعي ابنتي أرجوك.

-وهل كانت الريتا تعرف؟ سأنتقم من أربعتكم، هو قتل أحلامي قبل أن يقتلني، دمرني، إن لمْ يذهب للاعتراف عن جريمته غدًا ويزج في السجن، فلن تعيشوا بهناء، وسأقتل ابنتكما الأخرى.

غادرت الريتا جسد الطفلة رضوى ذات الثلاثة أعوام والتي سقطت جثة على الأرض، بلا عينين فقد قلعتهما، ثم تبعتها بضحكات قائلةً:

- غدًا موعدنا أيها قاتل، غدًا موعدنا ولن تهنأ، لن تنجو من غضب الريتا

في صباح اليوم التالي ركض رضوان لاهثًا ناحية قسم الشرطة ليُسلم عن نفسه، علَّه ينقذ ابنته ريما وزوجته بعد فقدانه لرضوى؛ بعدما أثبتت الأدلة الشرعية على أن موتها كان بسبب هبوط حاد في الدورة الدموية، ولم تظهر

أيَّة آثار لجريمةِ قتل ما، وأتهم رضوان بالجنون لا غير، ولم تقبل الشرطة أن تدخله السجن لذلك السبب، علم في ما بعد أن جميع من شارك في قتل الريتا قد قُتل بطريقةٍ غريبة، وفيهم من تشَّوه، ومن خُنق، وخاصةً السيد عدلي، فقد عُثر عليه مُتفحمًا في أحد الزنزانات الانفرادية، بعدما عانى من شبح الفتاة الذي يطارده، فظنوا أنه جنَّ، أو يدعي الجنون، ففُصِل عن باقي المساجين.

أما عن رضوان فقد عاد إلى المنزلِ يجر وراءه خيبة، يملؤه الندم على ما أقدم عليه، ينتظر حتفه على يدها. طرق باب المنزل فلم يفتح له أحد الباب، ازدادت نبضاته عن المعتاد عليها، وظنَّ أن شبح الفتاة حتمًا قد قتل ريما وأمها، فنادى على أحد الجيران وأخبره أنه قد نسي اليوم مفاتيحه في المنزل ويحتاج لمساعدته في كسر الباب، وعندما حاول مساعدته في ذلك، فُتِح الباب لوحده، لَمْ يأبه لهذا فراح يركض في أرجاء المنزل باحثًا عن زوجته وابنته، وجد رسالة على سرير غرفته، كُتب عليها :

"اعذرني يا رضوان، بعد فقداني لرضوى، ومعرفتي بأمر جريمتكَ البشعة تلك، لا يمكنني حقًّا البقاء معكَ، لا يمكنني خسارة ريما كذلك، أنت مجرد قاتل نجس"

لم يدرِ هل يبتسم أم يحزن؟

فَرِح لأنهم بخير، وشَّد الحزن عليه إذ أن حقيقته قد انقشعت، وأصبحت زوجته تكرهه، وبينما هو في حاله هذا سَمِع صوت ضحكات الريتا تملأ أرجاء الغرفة:

- احزن يا هذا ولا تفرح كثيرًا، بسببكَ اليوم فارقت أمي الحياة، أبي في حالة يرثى لها، صار كالمجنونِ لا يعرف من حوله، اخبرني هل تظن أن عائلتكَ تستحق أن تنجو من غضبِ الريتا؟

-ماذا فعلتِ بهم، أرجوكِ لا تأذيهم، لا ذنب لهم؟

لمْ تجبه الريتا وظلتْ فقط تضحكَ، وتقهقه، فصار رضوان أشبه بالمجنون يركض هنا وهناك باحثًا عن هاتفه، ليتصل بزوجته، لم تجب على اتصاله في المرة الأولى، حاول الثانية والثالثة، حتى أتاه صوت زوجته من الطرف الآخر:

-ماذا تريد منَّا، ألم تقرأ الرسالة؟

- أ أنتم بخير؟

-لا تتصل بنا مجددًا يا راضون، أرجوكَ دعنا نعش ما تبقى من عمرنا بسلام.

أغلقت زوجته خط الهاتف في وجهه، جلس ثم اتكأ على كرسيه، وأخذ شهيق، أردفه بزفير عميق، وبدأ يتعذر للريتا وأنه نادمًا على فعلته، ويعلم أنه لن

يعيدها إلى الحياة، ولن يعيد إليها ما خسرته، إلا أنه يستحق العقاب، ثم أخبرها أنه لن يكرر ما فعله مجددًا، وترجاها أن لا تمس عائلته بسوءٍ، وإن أرادت الانتقام فعليها أن تنتقم منه.

في مساءِ اليوم ذاته وُجد رضوان مشنوقًا على باب بيته، ولا تظهر أيَّة آثار على أنه قد أقدم على الانتحارِ، وقد أغلقُتْ القضية على أنها انتحار فلا أدلة ولا براهين ولا أعداء له، عدا طيف الريتا.

"أقلب الصفحة بهدوء، فقد توقظ أحد الأرواح الصارخة"

أرواح صارخة

"روح تغادر بسلام، وأخرى تظل حبيسة بين عالمين للانتقام، لن تقتل أو تؤذي إلا من أذاها، ساعدوها علَّها تغادر بسلام"

****

الهدوءُ يعم أرجاء المكان لا يخامره أيَّ صوتٍ، وقد أقبل الليلُ وئيدًا يحبو كطفلٍ صغير على راحتيه، ينثر غبار الأحلام على الغاطيين في نومٍ عميق، الساعةُ الآن تقرع جرس الثانية ما بعد منتصف الليل، في مركز مدينة الروضة وبالأخص في مستشفى الروضة والذي أُقتبس اسمه منها؛ ذلك المكان الذي تصدر عنه الكثير من الإشاعات عن وجود الأشباح والأرواح المنتقمة، والتي يعلم عنها الكل، عدا ريم ذات الأثني والعشرين ربيعًا؛ لم تدرِ ولم تسمع عنه أيَّة شيء من قبل! لكونها من مدينة أخرى وقد أُحضرت إليه كحالةٍ طارئة قبل شهر في تلك الليلة استيقظتْ ريم، لحوجتها المستعجلة للحمام، والذي يبعد بضع خطوات عن غرفتها، خطتْ خطواتها خارج غرفتها نحو الرُواق الأخير إلا أن قلبها كان يخفق مضطربًا؛ هذه المرة الأولى التي تخرج فيها من الغرفة لوحدها، إلى أن أحسَّتْ أن هناك من يراقبها ثم سمعتْ وقع

أقدام تسير خلفها، كان لحظتها قد وصلت إلى وجهتها فأسرعتْ بالولوج إلى الحمام، بينما كانت تغسل وجهها حتى تستعد للعودة على الطريق ذاته، لاحتْ على المرآة بضع كلمات مكتوبة بالدماءِ "ساعدونا، حررونا، نود القصاص" انتباها الفزع لوهلةٍ، أغمضت عينيها على عجلٍ تلت على نفسها آية الكرسي، حتى هدأ خافقها المضطرب، وفتحتُ بعينيها مجددًا لترى أن الدماء قد اختفت، فاطمأنتْ وخرجت مسرعةً ناحية غرفتها، وبينما هي تهرول في ذلك الرواقِ، إذ بها ترى شبحًا لامرأةٍ تظهر أمعاؤها الداخلية بوضوحٍ تام قد اخترقت الحائط، ظنتْ أنها فقط تتخيل ذلك، ثم تبعتها بخطوة أخرى حتى ظهر أمامها طفل يحبو على يد ورجل واحدة والأخريات مربوطتان على ظهره؛ مخترقًا هو الآخر الحائط، ارتعشتْ وتوقفت مكانها، لم تحاول الصراخ تماسكتْ، إلا أنها أطلقتْ بصرخاتها حينما رأت شبح العجوز الذي يمسكُ رأسه بيديه، فالتفت الرأس ناحيتها، ثم خطى الجسد باتجاهها، وقتها سقط مغشيًا عليها، أفاقت على صوتِ فتاة صغيرة بعمر الخامسة عشرة تقريبا:

- اذكري (الله)، ما بكِ؟

- بسم الله الرحمن الرحيم، من أنتِ؟

-هل تستطيعين سماعي؟

-أجل! من أنت؟ هل أنتِ من كنت تتبعينني قبل قليل؟

-الحمد لله أنتِ بخير إذًا، أجل فلقد رأيتكِ مضطربة وخائفة من شيء ما فلحقت بكِ، أنا اسمي سحر، وأنتِ؟

-ريم.

- اسمكِ جميل يا ريم، ولكن هذه المرة التي أراكِ فيها، فأنا أقدم مريض هنا ولدي عامان في هذا المشفى، أخبريني ما هو مصابك الذي رمى بكِ هنا؟

-رمى؟ أنا لا أذكر شيء أخبرتني أمي صبيحة هذا اليوم أنني كنتُ في غيبوبة دامت أشهرًا، وأنتِ محقة؛ هذه هي ليلتي الأولى بعد أن أفقت، كان لدي ارتفاع في السكري، ولجت على إثره في تلك الغيبوبة، و...

لهنيهةٍ من الوقت سرحت ريم بخيالها، وتذكرت داءها الذي أدخلتْ بسببه المستشفى، وتأكدتْ أن كل ما قد رأتها ما هي إلا خيالات.

- اكملي وماذا؟

-آه لا شيء عزيزتي، اخبريني ما هو رقم غرفتكِ؟

-الغرفة "رقم 3001"

ابتسمت ريم وانشرح صدرها بعد أن قابلتْ تلك الفتاة والتي طلبت منها أن تأتي لزيارتها والتعرف على أسرتها، ومضت نحو غرفتها مطمئنة البال،

ونسيت كل ما قد رأته، لكن كيف ستأتي سحر لزيارتها وهي لم تخبرها حتى ما هو رقم غرفتها !

"-لا بأس قد التقي بها غدًا" هكذا قالت لنفسها.

انصرم الليل، وأقبلتْ شمس الصباح على هذا الجانب من الكوكب، تنشر أشعتها على البقاعِ، يستيقظ الجميع بعد ليلة طويلة ومرهقة بحيويةٍ ونشاط، وهم على استعداد لاستقبال يومٍ جديد، بكل ما فيه من كمد وعناء، عدا ريم استيقظتْ على أصوات صرخاتْ وبكاء، سألتْ والدتها في هلعٍ عن مصدرها، فأخبرتها أن العجوز الذي في الغرفة المجاورة لغرفتها قد وُجِد هذا الصباح مشنوقاً في غرفته.

سرتْ قشعريرة في جسدِ الفتاة، فتكورت حول ذاتها وبدأت تصرخ:

-هي من قتلته، هو لم ينتحر، هي من قتلته؟

- هي من؟ بسم الله الرحمن الرحيم ما بكِ؟

-الأشباح يا أمي، لقد رأيتها البارحة.

-الأشباح؟!

فجأة تذكرت الجملة التي لاحت أمامها، ليلة الماضية

"إن رأيتنا نعبر من أمامكَ، فلا تتحدث عمَّا رأيته، إمَّا أن تساعدنا، أو سيكون مصيركِ من مصيرِنا "

ما زال صوت أمها يخامر أذنيها:

-ريم، هل أنتِ بخير؟ هل أحضر الطبيب لفحصكِ؟

-لا، لا أريد.

"الأرواح التي تُقتْل غدرًا، لا تغادر تبقى حتى تنتقم،
تتجسد أحيانا للأخذ بثأرها،
إنها تبحث فقط عن القصاص،
لن تؤذيكم البتَّة"

مرَّ شهر على حادثةِ المسن وعاد الوضعُ إلى حاله، وازدادت الإشاعات أكثر عن مستشفى الأشباح هذه، حلَّ الليل وغطَّى الجميع في نومٍه، إلا أن أحد لم يزرَه النوم قط، ومنذ تلك الحادثة، تناهى إلى سمعها كلمات بصوتٍ هامس يئن "ساعدونا، أطلقوا سراحنا" فراحتْ فزعة تبحث عن مصدر الصوت، لم تستطع أن تحتمل هذا الوضع، ارتدت معطفها وأخذت تمشي على أروقة المستشفى، سمعت أصواتاً غريبة؛ بكاءً لأناس، صرخاتْ متألمة، أصوات رياح خفيفة، يتبعها هواء بارد، نداءات استغاثة، إلى أن أتاها صوت من الخلف:

- ريم!

- سحر؟ لقد أخفتني، ماذا تفعلين هنا؟

- لقد سمعتُ صوتاً غريبًا.

- بربك، من أين يأتي هذا الصوت؟

- ربما من البدروم، هذه ليست مرتي الأولى التي أسمعه، لكن لم تكن لدي الشجاعة لاكتشاف الأمر.

- سنك لا يسمح لك بذلك يا سحر.

لكن سحر غيرت مجرى الحديث وأخبرت ريم عن استخدام السلالم للذهاب لمصدر تلك الأصورت، انصاعتْ ريم لكلمات الصغيرة، فتبعتها بهدوء وحالما وصلتا، رأت ريم طيف العجوز، وهو معلق على حبل وذاك الحبل ملفوف حول عنقهِ، يخترق الحائط كذلك.

حاولت الصراخ لكن سحر حذرتها على عجل، ونظرت إليها:

- هل تودين لفت انتباههم إلينا، ألا ترين هذه العتمة التي تُحيط بنا، هو بالتأكيد لم يرَنا.

أومأت ريم برأسها على التزام الهدوء، ثم تبعتها دخلتا عبر دهاليز مرتبطة ببعضها، كانتا تتبعان الأطياف، ووصلتا إلى غرفةٍ بها سلم يقود إلى الأسفلِ، فتحتْ سحر الباب بهدوء وهمست في أذن ريم ألا تصدر أيّة صوت، نزلتا عبر سلم وتوقفتا حينما شاهد أن الأطياف توقفتْ، وبدأت بالصراخٍ و إصدار الأصوات ذاتها، نحيب ونواح، وكأن أحداً يحرقهم وهم أحياء، كان هنالك حوالي اثنا عشر طيفاً: (امرأتان وثلاث أطفال، شابان وأربعة مسنين، وطفلة بعمر سحر) وجميعهم يقفون متراصّين، حاولتا النظر إلى المكانِ الذي ينظرون إليه، لحظتئذ جحظتْ عيناهما من هولِ ما رأتا، كان "الدكتور عصام"

نائب رئيس قسم الجراحة سابقًا، وبجانبه أدوات طبية، يقوم بتقطيع وتشريح جثمان أحدهم، أمسك بالمقصِ والمشرط، لم يشاهدا سوى طيف جنين يخرج من هناك؛ ليقف مع بقية الأطياف الواقفة هنا، ويبدأ هو الأخر بإطلاق تلك الصرخات الغريبة، ونداءات الاستغاثة!

أصيبتْ ريم بالغثيان والذعر مما رأته، أما سحر فقد طفر الدمع يتساقط من عينيها، وكأنها تود الصراخ كتلك الأرواح، وقتئذ فهمت ريم كُل شيء، هذه هي الأرواح التي قُتلتْ غدرًا، ربطتْ ما شاهدته سابقًا بالذي يحدث أمامها.

- انظري يا ريم أين يضع الطفل.

فتح "الدكتور عصام" ثلاجة أشبه بالمشرحة ووضع جثة الطفل فيها، وقاد النقالة التي فيها المرأة نحو الخارج، اختبأتا جيدًا حتى لا يراهما، ثم خرجتا، فاختصرت سحر الطرق وأوصلتْ ريم إلى غرفتها، وأخبرتها أن تصمتْ إلى الغدِ، ولا تتحدث و إلا ستتعرض للقتل على يد هذا الدكتور البغيض. اختفت سحر سريعًا كأنها ما كانت موجودة قبل لحظات هنا، أما عن ريم فقد بقيت طوال تلك الليلة تُنفر بالنومِ عن عينيها، رائحة الدماء، مشهد الطفل وهو متكور حول ذاته، تحوله إلى طيف، شبح أو شيء طائر فجأة، الصراخات التي تصدرها الأشباح، ما الذي يحدث في هذه المستشفى؟

أشرقتْ شمس اليوم التالي، وظهرت شائعة جديدة عن اختفاءِ عاملة النظافة، والتي تبلغ من العمر خمسة وعشرين ربيعًا، كانت حامل وقد أكدت لهم كاميرات المراقبة أنها قد خرجت من المستشفى، بينما يؤكد ذويها أنها لم تعدْ إلى منزلها قط، حاولتْ ريم أن تخبرهم بالحقيقةِ عندما شاهدت صورتها مُعلقة على الحائطِ، وتذكرت أنها ضحية الأمس ذاتها، بيد أن كلمات سحر قد كانت كالحلقة في أذنها.

في الليلة الثانية أطلَّت سحر على غرفة ريم، استطردت قائلة:

- ألا تشعرين ثمة شيء مريب هنا، عن هذه الإشاعات مثلًا؟ فقط في مناوبة "الدكتور عصام" تحدث فقط الاختفاءات والجرائم، والقاتل قد بات معروفًا.

- سحر؟ منذ متى وأنت هنا؟

- وقت ليس بطويل، بينما أنتِ شاردة الذهن.

- عجبا لَمِ لا أراكِ إلا بحلول الظلام؟

- هل يضايقكِ وجودي هنا؟

- لا آسفة، نحن لا نملك لا أدلة ولا شهود لإدانته.

استشاظت سحر غضبًا:

- بالأمس شاهدناه بأمَّ أعيننا يقتل عاملة النظافة وابنها، وليس مستبعدًا حقًّا أنه القاتل، مكثتِ هنا زهاء ثلاثة أشهر هنا ولا تستطيعين تجميع هذه الأحداث ببعضها.

- اهدئي! على رسلك يا عزيزتي، ستوقظين أمي من نومها، حسنًا أود أن أسالكِ سؤالاً واحداً فقط ما هو السبب في تلك الصرخات؟

- حسنًا انصتي إليَّ، سأفصح لكِ عن كُل شيء، قبل عامين ونصف كان "الدكتور عصام" هو نائب رئيس قسم الجراحة، ولخطأ جراحي ارتكبه تسبب بمقتل والد رئيس القسم ذاته "الدكتور فؤاد" فسحب عنه الدكتور فؤاد رخصته الطبية، بعد أن رفع شكوى ضدِّه للمجلس المهني الطبي، كل ذلك لأنه أمره سابقًا بعدم إجراء تلك العملية لوالده لعدم كفائته التام، بالإضافة إلى إنها كانتْ خطرة جدًا، بيد أنه لم ينصع له ونزع حينها "الدكتور عصام" نخاع ذلك المسن مما تسبب بقتله.

أردفت سحر ردها قائلةً:

قدم الاعتذارات إلى فؤاد و إلى المجلس الطبي، هذا ما يقولون عنه بيد أن تلك الاعتذارات لم تشفع له ليستعيد وضعه كطبيب أخصائي، وسُمِح له أن يكون مساعد طبي فقط، ومن يومها قرر الانتقام من الدكتور فؤاد بتشويه

سمعة هذا القسم، وقتل الحالات الحرجة وغير الحرجة، أما عن هذه الأرواح فهي تطلب العدالة لا غير.

- يا إلهي! يا لغبائه وحماقته، لكن كيف سنساعدها؟ لا بل كيف علمتِ أنتِ بذلك!

ابتسمت سحر، ثم أجابتها:

- لقد قرأتْ كتاباً عن الأرواحِ العالقة، لا تنسي فقد قلت لك من قبل أن لدي عامين هنا، وهو يقدم على جرائمه كل شهر أو شهرين هذا ما قد يبدو، هنالك أرواح دُفنت إلا أنها لم تغادر العالم بسلام.

- ويكأنها فيلم هندي، ما أعلمه أن الضمير هو من يعذب صاحبه، ودكتوركم هذا لا ضمير له، بل هو قاتل متسلسل فقط.

- هذه الحقيقة يا عزيزتي، في الأسبوع القادم ستكون مناوبة "الدكتور عصام" لقد سمعته يتحدث إلى أحدٍ ما، وأنا في طريقي إليكِ أن المريض صاحب الغرفة "2119" هو هدفه القادم.

- إذًا؟ ومن صاحب تلك الغرفة.

- أنتِ يا عزيزتي.

خرجت ريم مسرعةً لترَى رقم الغرفة المعلق على الباب، ثم جلست على الأرض خائفة، وتسمَّرت في أرضها تلك، نظرت إلى سحر وقالت لها:

- ما الذي يخطط له هذا الدكتور المجنون القاتل؟ ما داعي مريض سكري بإجراء عملية؟

- لا تخافي عزيزتي، سأساعدكِ أعدكِ أنه لن يمس شعرة منكِ، فقد ساعديني في القبض عليه، فهو معتاد أن يغلق كاميرات المراقبة جزئيًا، في كل ليلة يبدأ فيها بأعماله الشنيعة، وسيفعلها هذا المختل حتمًا ليلتها، لذا كوني حذرة وحاولي بقدر الإمكان إعادة إشغالها بسرعةٍ بعد خروجه من تلك الغرفة، أو وضع كاميرا الهاتف إن لم يسعفكِ الوقت في ذلك.

- كيف ستساعدينني في ذلك وأنتِ لم تتجاوزي السادسة عشر بعد؟!

- ربما لا أستطيع مساعدتك كثيرًا، لكني وعدتكِ أنه لن يؤذيكِ، صدقيني.

ها هو الأسبوع يمر على مرأى ريم بسرعةٍ تضاهي سرعة الضوء، حيث أنها لم تدرِ كيف حلَّ بهذه السرعة، نفذَّتْ خطة سحر، وبالفعل استطاع "الدكتور عصام" إقناع والدة ريم بإجراء تلكم العملية حيث أنها أطالت المكوث هنا، ولا بد لها من الخروج الآن لترى نور الشمس، وأخبرها أن الدكتور فؤاد هو من سيجري لها العملية، ثم خدَّرهما وترك الأم مكانها، وأخذ

الفتاة إلى غرفته تحت الأرض ليشرح جسدها، أحكم رباطها جيدًا، وأمسك بالمقصِ والمشرط، وبرزت أضراسه، ثم أردف بضحكته الخبيثة:

- أنتِ قريبة الدكتور فؤاد إذًا، سألحق له هذه المرة العار، وسيندم على ذلك اليوم الذي ضربني فيه بوجهي، وأقدم على سحب رخصتي الطبية، ستبدأ الجراحة الآن يا عزيزتي لن تتألمي!

فجأة هبَّت رياح صرصر عاتية في الغرفة، انقطعت الكهرباء إزاء ذلك، ازدادت الصرخات، طارتْ الأدوات إلى أعلى، ثم انهالتْ تتساقط عليها، رأى حينها الأشباح؛ والتي أخذتْ تصرخ:

"نريد القصاص، نريد القصاص"

في صباح اليوم التالي، وُجِد "الدكتور عصام" في تلك الغرفة مقتولًا، وعيناه جاحظتان للأعلى كمن شاهد شيء قد أفزعه، فسقط ميتًا من هول ما رآه، وهناك كتابة بالدماء على ردائه الناصع البياض "الأرواح أخذتْ بثأرها" وقد وفت سحر بوعدها، حيث أنه لم يمس شعرة من صديقتها، وحينما سأل رجال الشرطة ريم كيف اكتشفتْ الدكتور عصام، أخبرتهم أن صديقتها سحر ساعدتها في ذلك، وطلبت من رجال الشرطة أن يذهبوا معها إلى الغرفة "3001" لتراها، وقتئذ قاطعاها صوت الدكتور فؤاد:

- لا وجود لهذه الغرفة هنا، عدد الغرف في جميع المستشفى لا تتعدى "3000" غرفة لا غير.

- ماذا؟ أقسم لكم أنها قالت لي هذا الرقم، يمكنك التأكد من ذلك، وانظر هنا إلى كاميرات المراقبة فقد مشينا عبر هذا الممر معًا .

فقال أحد رجال الشرطة:

- لا يظهر هنا أيَّة شخص غيركِ!

قال آخر:

- هذه الفتاة رُبما تقول الحقيقة الغرفة "3001" هو رقم الغرفة التي دلفنا إليها قبل قبيل؛ لإخراج الجثث المحفوظة في تلك الثلاجة.

استطرد قائلًا:

- كانت هناك جثة لفتاة صغيرة تقريبا، يمكنكِ إلقاء نظرة عليها، إن كانت هي!

تجمَّدت قدما ريم قبل أن تتحرك ناحية الإسعاف الذي يقف أمام باب المستشفى، راح شريط الذكريات يلوح أمام ناظريها، تذكرت طيف الفتاة التي بعمر سحر لكنها لم ترَ وجهها، تذكرت كيف كانت سحر تجهش بالبكاء،

حينما قتل "الدكتور عصام" العاملة، تمنتْ من أعماق قلبها أن لا تكون هي حقًّا.

تناهى إلى أذنها صوت الطبيب الجنائي، وهو يقول:

- جثة هذه الفتاة لها عامان تقريبًا، ولكنك لن تستطيعين التعرف عليها ستتعرفين عليها، فالجسد لا يحتفظ بهيئته كما هو.

- كانت ترتدي خاتما في خنصر يديها.

بصوت مرتجف قالت ريم جملتها تلك.

أجابها الطبيب:

- أجل هذا هو الخاتم، ومحفورٌ عليه حرف ال (S) هل أنتِ متأكدة مما تقولين؟ أو يبدو أن روحها هي من ساعدتكِ، وليستْ هي، تفضلي يمكنك الاحتفاظ بهذا الخاتم، ل...

قبل أن يكمل كلماته تلك؛ سقطتْ ريم مغشيًا عليها، وقتها علمت أن سحر ما هي إلا أحد تلكم الأطياف المقتولة غدرًا؛ تفاقمت حالتها سوءًا نُقلت إلى مستشفى آخر، خارج البلدة، ولمْ تغادرها إلى الآن.

حارسُ الجبل الأسطوري

العاشرُ من أيلول من العام 1990م بعدما أشرقتْ شمسه؛ خرجتْ ليزا من بيتها بعدما ودعَّت والديها للذهابِ إلى منزلِ صديقتها إيما، حازمةً أمتعتها لأجل رحلتهما التي انتظرتاها عاماً ونيفاً؛ اليوم حان وقتها وسيكون رفيقهما والد إيما السيد دان. أعدوا العدَّة وانطلقوا قُبيل وصول الشمس إلى كبدِ السماء، وقد كان الهدوء سيد الموقف إلى أن صرخت ليزا:

_الطريق هنا وعرٌ ألا يوجد غيره يا عمي؟

أجابها دان وهو يحاول أن يستمسك أعصابه:

_ما علمتُه أنه الوحيد الذي يقود لذلك الجبل الذي تحدثتما عنه.

تستطرد إيما بصوتها اللطيف:

- واصل السير يا أبي واسرع قبل أن يجن علينا الليل.

- كعادتك يا صديقتي تخافين من الظلمة، يؤسفني أن أخبركِ أنها ليلة اكتمال البدر _ضحكتْ ضحكةُ مريبة ثم أردفت ردها_ لا تهابي شيء ما دمنا معك؛ لن يأكلك وحش أو قد يسلب روحكِ، شبح متعطش للدماء.

قالت ليزا كلماتها تلك وهي تحاول إخافة إيما بعد أن وضعت يديها عليها من الخلف وقد نجحت بذلك حينما صرخت صديقتها صرخة جعلت والدها يوقف السيارة فجأة ويكبح على الفرامل، فلفت أمر الفتاتين فاستطردت ليزا:

ـما الأمر لِمَ توقفت فجأة يا عمي هل وصلنا؟

ـليس بعد، ولكن ثمة رجل يقف على قارعةِ الطريق أشار لي بيده.

أجابته ليزا سريعًا:

-عن أيَّ رجلٍ تتحدث فنحن لم نره؟

- ذاك الرجل القادم من الخلفِ، لربما كان ضائع هنا! افسحا له المجال معكما.

وقتها ترجلت إيما لتعود إلى الخلف بجانب صديقتها المشاكسة، أما الغريب المريب في هيئته قد أحتل مكانها.

- هل أنت ضائع هنا؟

هكذا سأل السيد دان الرجل الغريب.

- لربما كذلك! إلى أين أنتم ذاهبون؟

- إلى الجبل الأسطوري ـأجابته ليزا وهي تضحك على ما يرتديه من ثيابٍ ثم أردفت حديثهاـ اعذر فضولي يا سيدي، ولكن من أي قرنٍ أنت؟

- ماذا تقصدين يا آنسة!

- لا أقصد شيء، ولكن كما ترى فنحن في القرن الواحد والعشرين لذا يجب أن تكون مواكبًا مع عصر الموضة.

قاطعها والد إيما:

-كُفّي عن هذا الهراء يا ليزا.

وقتها صمتت في استحياءِ فدائمًا ما اعتبرت أنَّ والدَ صديقتها كأبيها، وأدركتْ خطأها فاعتذرت، استرسل بعدها السيد دان حديثه:

- ولكن لم تخبرنا باسمك يا سيد...

- ماريو، اسمي ماريو.

لحسن حظهم فقد وصل الأربع إلى وجهتهم قبل حلول الظلام، طلب حينها السيد دان من ماريو مساعدته في جلب الأدوات من السيارة، فقد طلبت الفتاتان رحلة كشافية تريدان فيها التخيّيم، وقتئذ استأذن كلا السيدين من الفتاتين لذهابهما لقضاءِ حاجتهم، وحذرهما والد إيما عن الابتعاد من مكانهما، إلى أن نبست إيما ببعض الكلمات:

- ليزا ما رأيك أن نستكشف البيئة التي حولنا قليلًا؟

أجابتها وهي مشيرةً بيدها إلى بقعةٍ بعيدة منهما قليلًا:

- لا أمانع هيا إذًا، أود رؤية ذلك الكهف هل ترينه؟

بعد أقل من دقائق وصلت الفتاتان إلى الكهف المنشود، وولجتاه وتفحصاه في كل جوانبه، إلى أن أحست ليزا بشيءٍ قرب قدميها، وحينما أبصرت ما تحتها وجدته دفتر صغير الحجم بقربه قلم.

أثار الفضول إيما فاقتربت ناحية صديقتها وسألتها عما ما تحمله بين يديها، فأجابتها:

- دفتر قديم جدًا.

- ماذا؟ هل مكتوب عليه شيء؟

- دعينا نرى، أجل! وخطه ظاهر جدًا.

اتفقت الفتاتان على قراءة الدفتر دونما تردد أو خوف، فجلستا على صخرة أمام مدخل الكهف.

"تنفستْ شمس الصباح تُلتهم خيوط الظلمة وتضيء بهيبتها الأرض، وهبَّت نسمات الخريف تُداعب أوراق الأشجار؛ فتتساقط هاربةً من أطراف الأغصان، علَّها تسقط فوق كومةٍ من القش في حظيرةٍ ما؛ فتغدو واحدة من الوجبات لبقرةٍ جائعة وتبدأ بها دورة حياة جديدة، أو يكون حظها أن تسقط

في كبد الطريق، فتجف وتحطمها قدم إنسان، وتصير مجرد هشيم تذروهُ الرياح.

حسنًا...

لا يهم فالأجواء ممتعة وجميلة تغازل الطبيعة، ناهيك أنها قد كانت تغازل خصلات شعري، فتلاعبه ليلامس وجهي هو الآخر.

صباح العاشر من أيلول في العام 1882م قرّر أبي الذهاب في جولة إلى أحد القرى الريفية؛ لاستكمال مشروعه العملي الخاص فأبي يعمل في هيئة الأبحاث والمشاريع، لم أتردّد وقتها في الذهاب معه! انطلقنا ذلك اليوم قبيل آذان الفجر، لبُعد المسافة وطول الطريق، حتى أذكر أَنَّنا قطعنا شوطًا طويلًا عن الطريق، تبادلنا القصص المثيرة معًا؛ قصص اكتشافاته وقصصي عن الجامعة والتي لم تكن بحجم قصصه، السيد ديف حقًّا رائع -السيد ديف هو والدي وأنا ابنته ليوني- لكم تحمست لأعود وأحكي لأصدقائي عن مغامرتي هذه. مررنا يومها بعدة قرى، وقابلتُ الكثير من البشر اللطفاء، تعرفت على قلتهم وكونت مع صداقات، إلى أن وصلنا إلى طريقٍ مهجور.

- لا تقل لي أنك ستعبر من خلاله يوحى من شكله أَنَّه مهجور يا أبي؟!

- الجبل الذي يجب أن أصله من هذا الطريق، لا مسلك لي غيره.

- ولكن...

- ولكن، مِمَ أنتِ خائفة؟ تحلى بالشجاعة! فهذه هي حياة المستكشفين!

قال لي أبي كلماته تلك متابعًا سيره، إلى أن ولجنا بذلك الطريق الذي خشيته، بينما كنا نسير شاهدتُ ظلّ رجل طويل الساقين، نحيف البنية، كانت الشمس عمودية عليه مما سَهُل عليَّ رؤية ظلّه النحيف، وقد لاحت لي بعدها هيئته فقد كان يرتدي ملابس من الطراز القديم يقف على الرصيف الموازي للطريق، أشرتُ وقتها إلى أبي أن يتوقف له، بيد أنه لا يرى أي هنا. ربما أَنَّني أتوهم، فهو لم يره، ولكن كانت الأم الطبيعة قد أظهرت غضبها فجأةً علينا، كيف لا أقول هذا وقد امتلأت السماء بالضباب الكثيف، حتى إنارة السيارة لم تكن كافية للرؤية من خلاله، وبينما كنا نواصل المسير شاهدت الرجل ذاته، بالملابس والهيئة ذاتها، شيء غريب حقًّا، لولا أَنَّ أبي لم يعد للخلف قط لظننتُ أنه قد عاد له، فسألته من دونِ وعي، إن كان قد عاد له، ووقتها أصرَّ أبي أنه لا يرى ذلك الرجل، وأنه لم يعد، وقتها طلبت منه التوقف حتى يختفي الضباب لكنه رفض ذلك تمامًا، قائلًا أن الضباب نذير شؤوم ولا بد عليه الخروج منه. كلما تقدمنا شاهدنا شبح ذلك الرجل في الطريق، فارتعبت

جدًا، وطلبت من أبي أن يتوقف بأي طريقة كانت، فنحن فقط في طريقٍ دائري، فتوقف أخيرًا وليته ما توقفه.

ترجلتُ عن السيارة لأستكشف الطريق عن كثبٍ، لكنني لم استطع الرؤية جيدًا، إلى أن رأيتُ شيئًا يخترق الضباب، ضخم الجثة، طويل القامة، تراجعت إلى الخلف خشيةً منه، فحاولت أن أفتح باب السيارة لأصعد، خامرت أذني صوتًا ليست تألفه، صوت رجل غريب يقترب منَّا، حينما تحدث شعرتُ بالأمان قليلًا.

- اسمي ماريو، فمن أنتم؟

ما إن أقترب حتى وضحت ملامحه جيدًا، إنه الرجل ذاته الذي كان يشير إلينا طوال الطريق، ولكنه كان نحيل البنية ما الذي حدث له فجأة حتى صار بهذا الحجم، أشرت إليه بقبول مساعدته، وما أن صعد السيارة حتى تلاشى الضباب وكأَنَّه ما كان موجودًا، وكأَنَّها لعنة.

-يبدو أنك لديك تأثير قوي يا سيد ماريو.

ابتسم ثم أجابني

-ليس كذلك يا آنسة، أنا محض مسافر ضلّ طريقه، ولم يعد يدري كيف يعود إليه، لقد أشرت للعديد من السيارات ولكنهم جميع لم يهتموا بي، وأنتما

الوحيدان اللذان توقفتما لي. واصلنا سيرنا حيث أن السيد ماريو لم يخبرنا بوجهته فطلب منه والدي أن يرافقنا في رحلته، إلى أن توقفنا في تلك المنطقة المجهولة من القرى، توقفنا في وجهتنا تمامًا ترجلنا عن السيارة التي مللت هي الأخرى جلوسنا عليه، فقد كانت ساعات طويلة من السفر، لولا وجود السيد ماريو معنا في هذه الرحلة وقصصه التي قصّها علينا لكنت قد مت مللا، طلب أبي منه مساعدته في شدِّ الخيمة، بينما أخرجتُ صديقي الصغير المدلل؛ دفتري للكتابة عن هذه الرحلة، الطبيعة حقًّا جميلة، الأشجار تحيط بنا من كل مكان، حتى الجبل الذي يودُّ أبي البحث فيه مُخضر وجميل، على الجانب الآخر من هذا البقعة التي فيها يوجد نهر لا أعرف اسمه بعد، ولكنٍ سأسأل عنه أبي أو السيد ماريو فهما يعرفان اسمه مؤكد، حلَّ الليل على غير العادة سريعًا، أو ربما لم نشعر به، ونحنا نعمل طوال عصرية ذلك اليوم وساعات السفر الطويلة التي قضيناها في الشارع، القمر كبير جدًّا هنا، وضوءه قريب جدًّا، استأذنت من أبي وصديقه الجديد بالذهاب للنوم ولأَنَّني كنت مرهقة حقًّا!

كعادتي الغبية استسلمت للنوم سريعًا، ولكن ما هي إِلَّا دقائق مضت حتى سمعتُ صوت صراخ، كان صراخ والدي، استيقظتُ في هلعٍ لأخرج من تلك

الخيمة، وأعرف ماذا حلّ بهما، هل هاجمهما وحش، ذئب أو أي مخلوق بريّ متوحش؟

صرخ أبي في وجهي، اهربي ليون، اهربي من هنا!

رأيت لحظتها السيد ماريو خانقًا أبي بيده، وهناك دماء تسيل من بطنه، هل طعن أبي؟

من هذا يا ترى؟

حملت صخرة ورميته بها على رأسه، من دون أن أعي ما فعلته، سقط وقتها واضعًا يده على رأسه، أمسكت بأبي، بيد أنه أفلت يدي، وطلب مني الركض في اِتِّجاهٍ مغاير له، هل كان يؤدي...؟

إطارات السيارة مثقوبة، زجاجها محطم، ماذا حل بها، هل كان هذا فخ، الضباب، رؤيته المتكررة في الطريق ذاته، هل هو شيطان، شبح؟

لكن لِمَ نحن؟!

لِمَ أبي الذي ساعده؟ هل هذا هو حارس الجبل الذي تحكي الحكايات عنه وعن وجوب الحذر منه؟

وقتها ركض كل منا في اِتِّجاهٍ حتى نشتته كما أخبرني أبي، ولكنه لم يتبعني قط، بل ركض بكلِّ قوته خلف أبي، حاولت اللحاق به، إِلَّا أنه صرخ في وجهي

ومنعني من اللحاق به. بكيت ثم صرختُ بأعلى صوت، جعلت كل الطيور تفر إلى وكناتها، وحيوانات الغاب تهرع نحو أوكارها منادية عليه، بعدها اختبأت في كهفٍ صغير، وغطيته بأوراق الأشجار جيدًا، والآن مرّت ثلاث ساعات منذ أن فارقت والدي والسيد ماريو، يا ترى ماذا حلَّ بهما؟

بئسًا لا أودُّ معرفة شيء عن ذلك المدعو ماريو هل أبي بخير يا ترى؟

سمعت فيما بعد وقع أقدام متعبة، أظنها لأبي، خرجت لأرى من الذي قد أتي إليَّ، وقبل أن أصل إلى باب المخرج، اكتسى الظلام تلك الفتحة التي تركتها مفتوحة من بين أوراق الأشجار لأرى من خلاله، بئسًا! يبدو أَنَّه قد اكتشف مكاني، تتساقط الأوراق الهشة أرضًا.

كنت مغمضة عيني وخائفة، أرتجف بشِّدَّةٍ، فتحت عيني ببطءٍ لأرى...

لأرى...

حسنًا، شيء ما بداخلي توقف، ليس قلبي فقط.

ما قتل الخوف بداخلي ليس وجوده أمامي الآن، بل تلك الجثة الساقطة بقرب قدميه مفصولة الرأس عن الجسد، الذي يحمل رأسها بيد، ويجرُّ باقيها باليد الأخرى.

لقد كان أبي وقد انقضّ عليه، ثم صرخ قائلًا :"أنا حارسُ الجبل الأسطوري، لا تقتربو منه"

ها هو ذا يقترب مني الآن والدماء تقطر من فمه أعلم أَنَّ لا مفرّ لي منه الآن، ولا أريد الفرار"...

سقط الدفتر من يد ليزا:

-يا للهول، ما هذا وكأَنَّ الزمان يعيد نفسه، ليتني علمت ما حدث لتلك الفتاة وكيف كتبت كل هذا؟

أغلقت بعدها الدفتر بعدما قالت كلماتها تلك ونظرت إلى إيما والتي كانت قد تجمدت من الذعر في مكانها، حتى سمعتا صوت صرخات السيد دان.

الجن العاشق

هناء وحيدة السيد جلال والسيدة هند، تسمى عندهما قمر زمانها الذي يسير الأرض، وكما يقولون عنها جيرانهم، فتاة عشرينية العمر، فاتنة الجمال، لديها قوام سحري، تسحر الأنس والجن، وقد كبرت نرجسية تعشق ذاتها وجسدها، تعيش على هذه الأرض وكأنها ملكتها، لا تمتلك صديقة سوى المرآة، التي تقف أمامها ليلًا ونهارًا، بالرغم من أنها طيبة القلب إلا أنها حينما غضب تصب جام غضبها على من حولها، هذا التناقض يجعل الجميع يضعون حد للتعامل بينها وبينهم، ولأنها كانت تنفر من الجميع فلم يتجرأ أحد على خطبتها، أو الاقتراب منها، عدا مازن ابن خالتها، الذي كان يحبها منذ صغرها وقد رآها تكبر أمامه، هَلِك وهو يحاول الوصول إلى قلبها، سلك جميع الطرق ليصل إليه، إلى أن تجرأ وتقدم إلى خطبتها.

لكن هناء لم يتغير طبعها معه، ما زالت على حالها أو ازدادت سوءًا، كان مازن يأمل أن يغيرها ولو قليلًا شيئًا فشيئًا أصبحت تمقته هو كذلك رغم أنها لم تحبه، وتبعده عنها رغمًا عنه، فلم يحتمل البقاء معها كثيرًا إلى أن أضطر إلى فسخ الخطبة وتركها.

تغيرت حالتها النفسية بعد انتهاء خطبتها التي دامت لستة أشهر، ولأنها لم تعلم لِم تتصرف هكذا، فقد صار لديها صديق جديد ألا وهو سريرها، فباتت تنام كثيرًا، دائما ما تستيقظ مرهقة رغم كثرة نومها، مؤخرًا أصبحت تستيقظ فزعًا وتصرخ ما تبقى من الليل، كما قد أصيبت بالاكتئاب المفاجيء، كيف لا وقد كانت لا تصلي، لا تذكر (الله) كثيرًا، تصرخ بين ليلة وأخرى، هذا ما أقلق والديها عليه، فأرادا أن يأخذاها إلى راقٍ يرقي لها بالقرآن الكريم، فحالتها تلك لا تحتاج إلى طبيب، لذا أول ما فكرت به السيدة هند أن ابنتها قد أصيبت بالسحر. ولأن أطماع البشر لا نهاية، فلقد تدخلت جارتهم الطماعة أم الحسن وأخبرتهم أن قريبها راقي مشهور ومعروف في منطقته، لم يتسنَ لهم الوقت لكي يسألوا عن صحةِ كلامها، فذهبوا إليه دونما تردد والذي بدوره قد طلب منهم مبلغاً ضخماً جدًا، وقتها انصرف السيد جلال تاركًا هند وابنتها في ذلك المكان لاحضار المال. أما عن هناء ووالدتها عندما دخلتا إلى ذلك المكان الضيق المظلم الذي كان أشبه بالمغارة، وجدتَا الكثير من الناس ينتظرون دورهم للدخول إلى المشعوذ الدجال، فظلتا تتنظران صفهما، وقتها خافت هند كثيرًا حينما سمعت صرخات بعض المرضى،

ومنهم من يكون مستلقي على الأرض يتدحرج فيها هنا وهناك، الأوضاع لم تكن محببة لدى لديهما.

ظلت هناء تضحك لوحدها وتارة تبكي، لم تستطع أمها أن تحتمل الانتظار الذي لا فائدة منه، ورائحة المكان النتنة، الأصوات المخيفة، الدخان المنبعث من غرفة ذلك الدجال المزعوم، فخرجت نحو أحد المساجد علَّها تجد من ينقذها هناك، فأشار إليها إمام ذلك المسجد بأحد الرقاة الجيدين وأوصلها بنفسه، وقتما وصلتا إليها، نظر إليها ثم تبسمل بالله، ونظر إلى هند وأخبر أن هناء متزوجة من جني وهذا النوع منه يسمى ب"الجن العاشق" خافت هند لم تعرف ماذا ستفعل، أدمعت عيناها ولكن صبرت لأجل ابنتها. أخبرها شيخ أن الأمر سهل علاجه، وطلب منها أن تهدأ وأعطى هناء بعض الأدوية العشبية، كما أمرها بالالتزام بصلاتها وأذكارها، فوعدته أمها أنها ستهتم بهذا الأمر، ولم يكن بطمع ذلك الدجال حيث أنه لم ياخذا منهما الكثير من المال، فقط ما يكفي لإطعام طلبته الجياع.

بعدما خرجت السيدة هند من منزل الراقي، وجدت مكالمات عديدة من السيد جلال، فاتصلت به وأخبرته عن مكانهما، والذي بدوره لم يتأخر في الوصول إليهما. عادوا إلى المنزل ثلاثتهم وطلبت هند من ابنتها أن تبدأ بالعلاج؛

وانصاعت لها دونما تردد، لكنها لم تداوم عليها؛ لأن رغبتها لم قوية في ذلك، أو لم تتملك القوة لمحاربة كل تلك الشياطين في داخلها، فحربها لم تكن مع جان واحد كما أخبر الشيخ في البداية، فعندما كانت هناء في الخارج مع والدها، عادت الأم لدفع المبلغ البسيط للشيخ وأخبرها أن ابنتها لديها ثلاث شياطين أخرى، فعليها محاربتهم كلهم حتى تعود كما كانت، فهناك شيطان سحر، وشيطان حسد، وقرينها إضافة للجن الذي يسكنها، مما زاد من خوف والدتها عليها ومراقبتها بين الفينة والأخرى. في إحدى الليالي المظلمة، استيقظت السيدة هند على صرخات مرعبة قادمة من غرفة أميرتها المدللة، هرعت إلى الغرفة لتجدها واقفة أمام المرآة، تصرخ وتبكي بشكل هستيري، حاولت هند تهدئتها، لكن هناء دفعتها بقوة، وبدأت ترمي الأشياء في الغرفة بعنف.

فجأة اشتعلت النيران في الغرفة بشكل غير مبرر، وبدأت تنتشر بسرعة في المنزل، خرجت السيدة هند مسرعة من الغرفة، تصرخ طلبًا للمساعدة، تجمع الجيران أمام المنزل، يحاولون إخماد النيران و إنقاذ هناء، وعندما دخلوا الغرفة لم يجدوا لها أثرًا.

اختفت هناء وسط النيران والدخان، تاركة وراءها لغزًا مرعبًا ما يزال يرواد الجميع، بعد يومين من اختفاءها، بدأت السيدة هند تتلقى رسائل غامضة على هاتفها المحمول، كانت الرسائل تحتوي على صور لهناء في أماكن مظلمة وغريبة، وأحيانًا كانت تظهر فيها رموز غير مفهومة، كانت الرسائل تأتي من رقم مجهول، وكلما حاولت هند الاتصال به، تسمع فقط أصوات همسات غامضة وضحكات مخيفة.

في الليلة الثالثة للبحث، قرر السيد جلال زيارة الراقي الذي أوصى بها إمام المسجد، عند وصوله إليه، أخبره بصدمة أن حال هناء أخطر مما كان يعتقد، قال له: "إن الجن الذي ارتبط بها قوي جداً، وقد أخذها إلى عالم آخر، لا أعتقد أنه سيفلت منها بسهولة، ولكنني سأحاول كل ما في وسعي لمساعدتك". لحظتها، سمعوا صوتاً خافتاً يأتي من زاوية الغرفة، التفت السيد جلال فوجد صورة لابنته تتوهج بضوء أزرق غريب، وعيناه تتلألآن كالنار، ثم سمع صوتاً يقول بصوت خافت: "لن أتركها أبدًا"

وقتها بدات حالة السيدة هند النفسية في التدهور، فترى أميرتها العشرينية في أحلامها وتسمع صوتها في المنزل، حتى أصابها الهوس في البحث عنها، كانت تبحث في الأماكن مشبوهة بحثًا عن أي خيط يقودها إلى ابنتها،

ذات مرةٍ بينما كانت في المنزل تجلس في غرفة المعيشة، سمعت صوت خطوات خفيفة قادمة من الطابق العلوي، صعدت ببطء إلى الطابق العلوي، وعندما وصلت إلى غرفة هناء، وجدت الباب مفتوحًا على مصراعيه، دخلت الغرفة بحذر، حينها انطفأت الأنوار، وسمعت صوت همسات قريبة جدًا منها، شعرت بيد باردة تلمس كتفها، وعندما استدارت، لم تجد أحدًا، فاغمضي عليها من الخوف. وعند عودة زوجها جلال أخبرتها بما حدث له، فصعدا في المرة الثانية معًا نحو غرفة ابنتهما مجددًا، أصرَّت الأم على البحث حول المرآة لأن ابنتها كانت تقف أمامها بكثرة، حتى عسرا على مدخل سري خلف المرآة، أصابهما الذهول حينها ثم ولجا فيها وسارا على ذلك الدهليز الطويل المعتم، حتى وجدا أنفسهما أمام غرفة تحتوي على كتب قديمة عن السحر والجن، وكذلك رسائل غامضة تشير إلى وجود كيان غامض كان يراقب ابنتهما، حتى خالج مسمعهما صوت بكاءٍ، كان صوتها، هناء بنفسها وتنهداتها وهي تنادي أمها، لكنها لم تكن لوحدها هذه المرة بل وزوجها معها، حتى أتاهما صوته:

-غادرا تلك الغرفة وانسيا أمر ابنتكما.

أجابته هند بصوت صارخ:

- أنت تقول ابنتكما، يعني تعلم تمامًا أنها لنا، فكيف لنا نسيان أمرها، اعطيني ابنتي.

- إذا كنت تريدينها حقًا تعالي وخذيها، لكن فلتعلمي أنها أمرها قد انتهى.

بعد مواجهة طويلة ومؤلمة مع الجن، نجحت السيدة هناء في إنقاذ ابنتها، وعندما عادت بها إلى المنزل نسيا أمر تلك الغرفة، بل المنزل بحالها ورحلا إلى بلدة أخرى، وعن هناء فقد كانت تبدو مختلفة تمامًا عن سابقها، عيناها فارغتان ولا تحتويان على أي شرارة حياة، و إن تحدثت يكون صوتها غريب وكلماتها غير مفهومة، حتى أنها تقوم بأفعال غريبة ومخيفة، لم تكن تلك هناء فقد استحوذ الجن على جسدها.

اللعبة الشبح

على لسان اللعبة:

"القتل هوايتي، القتل هويتي"

المكان: المملكة المتحدة- في إحدى ضواحي مدينة لندن.

في صباح يوم الجمعة، تمام الساعة الثامنة والنصف صباحًا، اقتحم ريتشارد ولتون منزله بطريقة هجومية، يصرخ وينادي على زوجته جوانا باحثًا عنها في جميع أنحاء المنزل:

-جوانا، جوانا أين أنتِ؟

- ريتش أنا هنا ماذا هناك؟

وقتئذ استقرت قدماه في المطبخ، حيث كانت زوجته تغسل بعض الأواني وتعد وجبة الإفطار، وقف أمامها وقلبه يكاد أن يطير من مكانه، ثم أردفت جوانا ردها قائلةً له:

- لِمَ كل هذه السعادة بادية على وجهكَ؟

- لن تصدقيني إن قلت لكِ، ولكن ... ولكن...

- ولكن؟

أجابها ريتشارد بعدما أمسك بيديها، وأخذ يدور بها:

- عزيزتي، أخيرًا سيبدأ التغير في حياتنا، ستتبدل أحوالنا، لقد وجد لي صديقي جون منزلًا جديدًا.

توقف عما كان يفعله ثم استطرد قائلًا:

- انظري لكم هو جميل وسعره زهيد كذلك.

بدت جوانا السيدة ذات الثلاثين عام، الجميلة صاحبة العينين الزرقاويتين والشعر الأسود الناعم القصير؛ سعيدة في بادئ الأمر حتى وقعت عيناها على تلك الصورة والثمن في الجريدة التي بين يديِّ ريتشارد تغيرت حينها ملامح وجهها، فاستطردت قائلة لزوجها:

- حقًّا يبدو جميل جدًا وكأنه للنبلاء، لم تخبرني عن موقعه بالضبط؟

- في وسط لندن!

- ماذا؟ لن نذهب إلى هناك حتما، لربما هو يخدعك.

- جوانا، لقد بعتُ هذا المنزل بثمن جيد، لأوفر أجرة ذلك المنزل.

وقبل أن تنبس بكلمة أخرى، قاطعها زوجها:

- لقد اشتريتُ المنزل في جميع الأحوال، لذا احزمي أمتعتك وأمتعة الأطفال، سنغادر هذا المنزل مساء اليوم.

لم يكُ لدى جوانا أي خيار سوى أن تنفذ أوامر زوجها "ريتشارد ولتون" الرجل زي الشاربين الطويلين، ذلك المحارب الأربعيني العمر؛ والذي قد فُصِل عن الجيش سابقًا بسبب مشكلة بين وبينه قائده، وازداد الأمر عليه حينما اعتدى على القائد بسلاحه؛ مما أدى إلى سجنه مؤقتًا ومن ثم فصله، حيث لم يبقَ أحد معه على تواصل عدا صديقه جون الذي تمسكَ بصداقته إلى هذا الوقت. يومها ودَّعت جوانا وصغيريها "إيلين" ذات العشرة أعوام، و "إيمانويل" ذي الست سنوات منزلهما القديم، وغادروا أخيرًا ضواحي العاصمة للانتقال إلى وسطها كما قال زوجها؛ حيث تقطن فقط عائلات النبلاء وهم بحالهم متوسطي المعيشة، غير أن ريتشارد اعتبر هذه الخطوة هي بداية التغيير، وأن حظه السعيد قد بدأ من الآن.

استمرت رحلتهم الكثير من الوقت، مما أدي إلى وصولهم في صباح اليوم التالي، تقف جوانا ومعها الطفلان مسافة من الوقت وهم ينظرون من الخارج إلى البيت الجديد، استقبلهم يومها الجيران بأعين وكأنها تقول لهم: "أرجوكم تراجعوا، لا تلجوا هذا الحي، وذاك المنزل خصوصًا، أي لعنة تلك التي أتت بكم إلى هنا؟ أرجوكم عودوا"

كل هذا لم يوقفهم، ويوقف ريتشارد قط عن إكمال ما بدأه حينما أتى بعائلته إلى هذا البيت زهيد الثمن، وجميل الإطلالة. ابتسم الأطفال حينها ببيتهم الجديد، وتعالت معالم السعادة على وجوههم الصغيرة، عدا أمهم فقد ظل قلبها منقبضًا حتى النهاية وخاصة من نظرات الجيران؛ التي أثارت الشكوك في عقلها، فعزمت أن تجمع بيانات عن هذا المنزل أكثر وأكثر. في صباح اليوم التالي حينما خرج ريتشارد ليبحث له عن عمل جديد، انتهزت جوانا فرصتها لزيارة الجيران، وربما للبحث عن إجابات تثلج صدرها، فقد علمت القليل عن المنزل وقصته فقد كانت حكايته غريبة ليس للعقل أن يصدقها، حكاية بيت اللعبة الشبح، هكذا سمعت جوانا التي ارتعبت في بادي الأمر؛ تلك اللعبة التي تقتل جميع سُكان المنزل الذي فيه، ولا تُبقِي على أحد، وقد قيل في بعض الشائعات أن البيت قد تعرض قديمًا للسرقة من قبل عصابة فاسدة، وقُتل أصحابه الأصليين على يدهم، وقيل أن أصغر أفراد تلك العائلة قد نُقلتْ روحه إلى جسد لعبته، كما أن المنزل بُني منذ أواخر القرن التاسع عشر، ولم يشهد له ساكنين بعد مقتل أصحابه الأصليين سوى أسرتين، إحداهما قتلت والأخرى لم يُرَ أثره إلى الآن، لم تعلم جوانا ما قد تفعله وقتها،

و إن أخبرت ريتشارد بذلك فسيتهمها بالجنون، كل ما عليها فعله هو إيجاد الدليل أو إيجاد تلك القاتلة.

مسائها عاد ريتشارد من رحلة بحثه مرهقا، يجر قدميه للوصول إلى بوابة منزله الجديدة، استقبله الولدان صارخين:

- أبي، انظر ماذا وجدنا في قبو هذا المنزل؟

أجابهم الأب:

- جميل هل لدينا قبو حقًّا؟ اخبريني يا عزيزتي الصغيرة ماذا وجدتما؟

رد الولد إيمانول:

- إنه كنز يا أبي؟

- يبدو بحالة جيدة يا أميري البطل، يا لحظكما السعيد!

كان كنزهما هو تلك اللعبة الخشبية ذات الاثني عشر سنتمتر، والعينان الحادتان، واللتان تبدوان ويكأنها تنظر إليكِ، كما أن لديها سيف صغير الحجم في غمده على الشق الأيمن لها، وحبل بطول الثلاثين سنتمتر ملتف حول شقها الأيسر.

"أيها الدخلاء، اخرجوا قبل أن تموتوا"

لربما عثر الولدان على الدليل الذي كانت أمهما تبحث عنه قبلها، في تلك الليلة عندما غطَّ الجميع في النوم سمعت جوانا حركة غريبة في المنزل، استيقظت تبحث عن مصدر هذه الضجة، توقفت وقتما رأت شيء يتحرك في أرجاء المنزل، فباتت تلحقه حتى تناهى إلى أذنها صوت، أضاءت مصباح الجدران لتتأكد مما سمعته، ومن قال هذي الكلمات اللعينة فلاحت أمامها ما كانت تبحث عنه، وتذكرت صرخات أطفالها قبيل ساعات عن عثورهم على كنز في قبو المنزل، سمعتها وهي تردد قائلة: "القتل هوايتي...القتل هويتي" ثم وجهت نظرها ناحية جوانا وقالت: "ستموتون جميعكم! سأبيدكم أيها الدخلاء "

انخلع قلب جوانا لرؤيتها ذلك المشهد فصرخت في مكانها، وفي لحظة هبَّ "ريتشارد" ناحيتها، وقد رآها ترتجف من أعلى رأسها إلى أخمص قدميها ثم سأله مَّا أصابها فأجابته بصوت مترجف:

- اللعبة، هددتني بالقتل!

- أيَّ لعبة؟

- اللعبة الشبح، هيا نخرج من هذا المنزل حالًا.

- هل جننتِ؟

- لا أريد هذا المنزل، غدًا صباحًا سآخذ الولدين وسأخرج منه.

-لن يخرج أحد من هنا، اذهبي إلى النوم لا نريد أيَّة فضائح في هذا الحي.

فعلت كما أمرها ذلك الجندي، وظلت كعادتها تستمع لكلمات ريتشارد القاسية، وتلك النبرة الخشنة، بينما لا يرد هو على حديثها، لم تنم جوانا طيلة تلك الليلة والليالي التي تليها، ظلت تسمع صوت اللعبة كل ليلة، ولم تستطع منذ ذلك اليوم الخروج من المنزل ولا تعلم ما الذي يمعنها عن ذلك؛ فقد أرادت أن تعرف أكثر عن هذه اللعبة وماهيتها، حتى أتى اليوم السادس منذ رحيلهم إلى بيتهم الجديد، في تلك الليلة استيقظ ريتشارد من نومه ليجد زوجته ليست بجانبه، ثم استرسل قائلًا:

- لا بد أنها تعبث في أرجاء المنزل ليلًا، جوانا! جوانا.

صار ينادي عليها إلا أنها لم تجبه، بحث وبحث حتى عاد مجددًا إلى غرفة نومه، أحس حينها بحركة غريبة قادمة من الحمام الداخلي للغرفة، فقصده بلا تردد، رأى لحظتها جوانا مرمية على حوض الحمام و المياه تغرقها، انقبض قلبه من هول ما رآه أخرجها بسرعةٍ، وحاول أن يمده ببعض الهواء من عملية التنفس الاصطناعي، إلا أن أنفاسها قد بدأت تتضاءل شيء فشيء، توقفت الكلمات في مجرى حلقه، اختنق أولًا ثم نطق بكلمات متلعثمة ومرتجفة:

-من.. الذي ..فعل.. بك هذا؟

- الل..اللعبة

- ماذا أي لعبة؟ هل تقصدين تلك التي عثر عليها الأولاد في القبو ذاتها!

هزت رأسها دلالة على الإيجاب ثم قالت:

-لم...تكن لعبة وحسب...إنها بلا شك شي...طان ... لع..ين، غادر هذا المنزل أرجوكَ.

بعدها فارقت جوانا الحياة وعيناها محمرتان، لم يتمالك ريتشارد أعصابه، حزن جدًّا على فقدان زوجته الحياة في هذا البيت؛ الذي كرهته من أول وهلة، وربما كان عليه اتخاذ هذا القرار مبكرًا؛ أي منذ تلك الليلة التي أعربت فيها جوانا عن رغبتها العارمة في ترك المنزل، إلا أنه لم يكُ ينصاع لرغبتها، الليلة وبعدما رآها قد قُتلت وبتلك الوحشية حزم أمتعته وأمتعة ولديه في اللحظة ذاتها، بعدما أكمل إجراءات وفاة زوجته، وأخبر جيرانه بعرض هذا البيت للبيع بأي ثمن كان فهو لم يعد بحاجة له، وكما قد أخبرهم بآخر كلمات زوجته، وعن قصة اللعبة التي يعلمون عنها مُسبقًا.

عاد إلى المنزل والدموع تملؤه، بعدها أقبل ناحية سريره علَّه ينام قليلًا، إلا أنه لم يهنأ به كغيره وقتما سمع صوت صراخ أحد أولاده لحظتها

ركض ناحية غرفتهما يحمل قلبه بين يده، ولكنه تجمد في مكانه وخارت قدماه جراء ما رآه مما جعله يسقط أرضًا وعيناه جاحظتان ناحية تلك الجثة التي تتدلى من مروحة السقف والدماء تقطر منها، كانت جثة ولده الصغير "إيمانويل" وقتها جن جنون "ريتشارد" وعلم فيما بعد أنه عليه الخروج حالًا لا أن ينتظر الصبح؛ لإنقاذ حياة ابنته الصغيرة التي تبقت له، فقد تقتلها اللعبة هي الأخرى في أي وقت، فهي ما زالت تحاصر البيت وتترصد أنفاسهما المتصاعدة، تسلل ذلك الصوت إلى أذنه للمرة الأولى، تلك الأغنية التي طالما اشتكت منها زوجته :"القتل هوايتي ... القتل هويتي"

ترك كل شيء خلفه وراح يركض باتجاه الباب حاملًا ابنته بين يديه، والتي قد كانت خائفة وتبكي ثم قالت:

-أبي، لا أريد الموت هنا!

-لا تخافي، لن نموت أعدكِ بذلك!

"سأقتل كل من دخل البيت، ولن يخرج ساكنيه أحياء"

أضحى الباب بعيد الوصول إليه، علم ريتشارد فيما بعد أنه لا خيار لديه، سوى انتظار هذا الظلام أن يضمحل ويحل ضوء الشروق لا غير، الآن لا خيار له سوى إلهاء اللعبة لكسب المزيد من الوقت، و إلهاءها كذلك عن "إيلين" ظن أنه أذكى منها، ولكنه هو من تفاجأ حينما شاهد ابنته تحمل بيدها سكينًا وهي تصرخ:

-أبي، أنقذني لا أريد الموت أبي!

"-إيلين" ارمي السكين أرضًا.

-لا أستطيع، أبي ساعدني أرجوك، فأنا لا أستطيع أن أتحكم بنفسي .

تحركت وقتها الصغيرة ناحية والدها الذي اتجه ناحيتها ليستل السكين من يدها، إلا أنها كانت محكمة القبض عليها، سمع صوت اللعبة تتحرك ناحيته وهي تردد: "سأقتل الجميع! لن يخرجوا أحياء" أمسك ريتشارد بيد ابنته ثم قال لها:

"- إيلين" ساعديني في أن أفلت السكين من...

وقتئذ تناثرت الدماء على أرضية المطبخ وصمت ريتشارد، فقد غرزت ابنته ذلك السكين في أحشاءه، بعد ذاك رآها تغزر السكين في لب قلبها.

- إي..إيلي لِمَ فعلتِ ذلك بنفسكِ؟

لم تجبه الصغيرة فقد فارقت لحظتها الحياة، عندها فهم ريتشارد كلمات زوجته وقتما قالت له: "رُبما يشكو المنزل من علَّة لذا ثمنه بخس، استيقظ يا رجل"!

إلا أن أنه وفي هذه المرة كانت غفوته أبدية فقد فارق الحياة وعيناه على ابنته وصوت اللعبة الذي ظل يصدح في أذنيه: "القتل هوايتي...القتل هويتي"

لم تكن لعبة بل كانت شيطان لعين قاتل، أصابت بلعنتها كل من في البيت، ومات جميع أفراده في تلك الليلة، ولم ينجُ منهم أحد وكانت هذه الأسرة الثالثة التي لم تنج من هذا المنزل، هكذا صارت حكاية ذلك البيت والذي هُجر مجددًا، ولم يتجرأ أحد من الاقتراب منه إلى زماننا هذا.

الشيطان الأسود

الليل سيد الحكايا المرعبة؛ فعندما يكتسي الظلام الكون، تتحول الظلال إلى كائنات تعج بالشر، همسات أنين وأحيانا صرخات استغاثة، تعزف صراصير الليل ذلك اللحن المخيف ويساعدها في ذلك طائر البوم غير اللطيف أبدًا، فتتراقص الخفافيش على ألحانهم، هناك شيء في الليل يثير الخوف في القلوب، كأن العالم يتحول إلى مسرح للرعب، تلك هي الأوقات التي تتلاعب فيها العقول بالمخاوف، تخلق وحوشًا من الفراغ وتجعل من الأوهام حقيقة لا مناص منها .

في إحدى الليالي التي لم تختلف بدايتها عن غيرها، اجتمعت عائلتنا الصغيرة في المنزل، كان الهواء مشبعًا برائحة الشاي، والأحاديث تدور بهدوء، لكن شيئًا غريبًا كان يهمس في زوايا البيت، لم يكن هناك سبب واضح للشعور بالقلق، لكن الأجواء كانت مثقلة بشيء غير مرئي، وكأننا كنا ننتظر أن يحدث شيء يفسد سكون اللحظة. قبل مغيب الشمس، قررت أختي الكبرى أن تخرج إلى الحديقة، ولم تلبث طويلًا حتى سمعنا صوتها يعود إلينا بصراخٍ مذعور، فزعة، هرعنا إلى مكانها لنجدها في حالة هستيرية، جسدها

يرتجف ووجهها شاحب من الخوف، حاولت أن تشرح ما رأته، لكن كلماتها كانت متقطعة وغير مفهومة، كل ما استطعت أن ألتقطه هو أنها رأت "شيئًا" يقف أمامها في الظلام؛ عيناه السوداوان كانتا تراقبانها، تنتظران اللحظة المناسبة للانقضاض، أمسكت بها أمي وطلبت منها التحدث:

أجابتها بصوت مرتجف:

- ل.. لقد رأيت جني، كان يقف هنا على الحائط، ينظر إلي بعينيه السوداويتين كأنه سيأكلني.

تملّكنا الذعر، ولكننا حاولنا تهدئتها، معتقدين أنها ربما تتوهم، عندما عدنا إلى الداخل، حاولنا نسيان الحادثة، لكن تلك الليلة كانت بداية سلسلة من الأحداث المرعبة، مع حلول الظلام، انقطعت الكهرباء فجأة وكأن الليل نفسه قرر أن يحاصرنا، الأضواء الخافتة القادمة من الشارع لم تكن كافية لتبدد الخوف الذي بدأ يتغلغل في قلوبنا، ثم فجأة سمعنا صوت مواء قطة، كان صوتًا غريبًا، ممتزجًا بالأنين والتهديد، لم يكن كأي مواء قد سمعناه من قبل. الأكثر غرابة هو أن الصوت لم يكن يأتي من مكان محدد، بل بدا وكأنه ينبعث من جدران البيت نفسها.

في اليوم التالي، اكتشفنا أن القطة كانت مختبئة في إحدى الغرف، مصابة بجروح غامضة، وكأنها تعرضت لشيء خارج عن الطبيعة. أصغر إخوتي وجدها، وهرع لمساعدتها. عندما سمع والدي ذلك، استل عصاه ضاحكًا: "إذا كانت شيطانًا، فأنا مستعد لمواجهتها!"، رغم محاولاتنا لملاحقتها، إلا أن تلك القطة لم تُقبض أبدًا.

بعد أيام من القلق المستمر، ظهرت القطة من جديد، كانت سوداء كليل بلا نجوم، صغيرة الحجم، لكن عيناها، عيناها كانتا تتوهجان في الظلام وكأنهما تحملان سرًا مرعبًا. وجدناها مختبئة في زاوية مظلمة من البيت، تراقبنا بصمت، حاولنا الاقتراب منها، لكنها كانت سريعة، تختفي في الظلال بمجرد أن نحاول الإمساك بها.

وقتها بدأت أمور غريبة تحدث في المنزل، تشققت الجدران فجأة بدون سبب واضح، وبدأت أصوات غامضة تسمع في كل زاوية، كل ليلة، كانت الظلال تتحرك من تلقاء نفسها، وكأنها تعيش بيننا، تراقبنا وتنتظر اللحظة المناسبة للظهور. ذات مرة ليلًا كنت مع أختي نحاول تجاهل ما يحدث، سمعنا خطوات ثقيلة تقترب من الغرفة، توقفت تلك الخطوات عند الباب، شعرت بشيء يقف

خلفي، لكنني لم أجرؤ على الالتفات، كنا نعلم أن هناك شيئًا في الغرفة، لكن الخوف كان يجمدنا في مكاننا.

ثم فجأة، فتحت أمي الباب وأنارت الغرفة: "حان وقت صلاة الفجر". لكننا لم نترك، كنا نعلم أن شيئًا ما كان معنا قبل دخولها، شيئًا لا نستطيع تفسيره أو رؤيته، لكننا شعرنا بوجوده. في الليلة التالية استيقظت أختي الكبرى في منتصف الليل وهي تصرخ، كانت تقول إن ذلك الشيء الذي رأته في الحديقة قد عاد، هذه المرة لم يكن مجرد ظل، بل كان أقرب، عينيه كانتا تتوهجان تمامًا مثل عيون القطة، مرسلة قشعريرة عبر أجسادنا. وقد مر أسبوع ونحن نعيش في رعب دائم، كنا سجناء لخوفنا في هذا المنزل الملعون، الأصوات تزداد وضوحًا، والخطوات باتت تقترب أكثر فأكثر في كل ليلة. ظلال تتحرك في الأرجاء وكأنها تحيط بنا، تنتظر اللحظة المناسبة للانقضاض علينا.

في إحدى الليالي المظلمة قررت أن أبحث عن القطة، كنت أعلم أنها مفتاح ما يحدث لنا، الظلام كان يخيم على كل زاوية في المنزل، وكانت الأصوات الغريبة تصدح في كل مكان، بينما كنت أتحرك بحذر في الممرات، شعرت بشيء يراقبني، عندما وصلت إلى إحدى الغرف، وجدت القطة تجلس هناك في الظلام، تراقبني بعيونها المتوهجة.

اقتربت ببطء، لكن فجأة شعرت ببرودة شديدة تخترق الغرفة ويكأن شيئًا شريرًا كان يحوم حولي، سمعت خطوات ثقيلة خلفي، تجمدت في مكاني، وعندما التفت ببطء لم أرَ أحدًا. لكنني كنت متأكدة أن هناك شيئًا في الظلال.

في ليلة باردة، اختفت القطة فجأة، لكن صوت المواء استمر. لم يعد هناك مجال للشك، هناك شيء أكبر من القطة، شيء أعمق وأكثر رعبًا يسكن هذا البيت، حتى بعد مغادرتنا، كانت الظلال تلاحقنا، الأصوات تملأ كل زاوية من حياتنا، وكأنها تطاردنا أينما ذهبنا.

وفي كل ليلة، نعلم أن هناك شيئًا في الظلام ينتظرنا، شيئًا لا نستطيع رؤيته، لكنه دائمًا هناك يترقب اللحظة المناسبة ليظهر لنا وجهه الحقيقي.

القاتل المتسلسل

هل كنت تتوقع أن تموت اليوم؟ أرى في عينيكَ أنك تلعن هذا اليوم حقًّا فلم تتوقع أن تلك المهمة التي أُرسْلتَ من أجلها قد قادتكَ إلى حتفكَ، مشكلتكم أنك لا تعتبرون ممن سبقكم. أتعلم يا عزيزي يقولون عن نعيقِ البوم أنه نذير شؤم وقد يحذرك من قدرٍ لا تعلم خفاياه أو دعني أقول عنكَ أنك تمتلك حظًّاً سيئًا منذ أن ولدتكَ أمك، لا يهمني ما هو رأيكّ ما دمتَ لا تتحدث معي، بيد أني أعلم أن هذي الليلة ستكون مميزة جدا لي.

مرَّ شهر منذ آخر مرةً استقبلتُ فيها ضيفًا، اشتقت لحوضي استحمامي المليء بالدماءِ والتلذذ بلحن موسيقتي الذي يعجبني كثيرًا، ذلك اللحن الذي لا يستطيع أيَّ شخص أن يتحمله سواي ولا أدرِ لِمَ قد يمقته الجميع!

آه بئسًا هل تسمع يا عزيزي؟ ها قد بدأت أصوات الضجيج تتعالى، الجيران هنا مثيرون للشفقةِ وأنا لا أستطيع تحملهم؛ لذا سأرفع الصوت قليلًا أعذرني. أتساءل دائمًا لِمَ هم أغبياء هكذا! ألا يلاحظون تناقصهم المتكرر، واختفاء بعضهم الدائم؛ خاصة عندما تبدأ دوزنة هذه الموسيقى التي أحبها بعزف

نتوتها غير المتجانسة التي تزعزع السكينة في قلب كل من سيسمعها، لا تقل لي أنها لم تعجبك أيضًا.

حسنًا لن أخفي عنك شيء فليس لدي سر عظيم، وما دمتَ في ضيافتي وقد أتيتَ لتعرف قصتي سأخبركَ؛ السائل الأحمر الذي كان يثير غثيناكك ما هو إلا دماء الضحايا عديمي الخلق، أولئك الصارخون في وجهي دون أيّة سبب والحاشرون أنوفهم في ما لا يخصهم مثلكَ تمامًا، حقًّا لقد تعبت ومللتُ منهم ولقد آن أوان التخلص منهم الواحد تلو الآخر.

أدعوكَ أن تشاركني هذه المتعة يا صديقي، ومتعتي في القضاء عليكَ، فأنا وأنت الآن لسنا في غنى حتى نصغي إلى تلكم الضجة والضوضاء التي لا نهاية لها أليس كذلك؟ سأخبرك سرًا لن يعرفه أحد سواكَ سأختار غدًا جاري الذي عن يميني لأخذه في جولة أبدية فقد أمهلته سنوات عدَّة وما زال يعول ويصرخ إنه لا يصمت أبدًا، لقد بتُ أمقت صوته المزعج بشدَّة إلا أن صداقته القديمة لوالدي هي ما صَعُبت عليَّ قتله أليس هذا مضحك؟

لا تقل لي أنك مللت مني سأجيبك الأن على سؤالكَ "من أنا؟"

حسنًا...

اسمع قصتي إذًا ما دمت تسعى لهذا اسمي "جون دييغو" أبلغ من العمر ما ينوف عن مئتي ضحية، أنا لا أعرف سني عمري حقًّا سوى أني أذكر متى كانت أول ضحية لي، وأظن أني كنتُ في الثالثة عشرة من عمري ـلا تقل عني صغيرـ لن تصدق من هو أول شخص قد وقع ضحية بين يدي...

لقد كان والدي العزيز السيد "مارتن دييغو."

لا، مهلًا لا تتسرع بالحكم عليِّ، أو لكَ ما شئت احكم كيفما يحلو لك، فذلك الرجل قتل تلك المرأة التي لفظتني للحياة "السيدة آن دييغو"، رُبما لفظتني عنوة لأنتقم لروحها يوما ما.

قتلها ودفنها في قبو أسفل هذا المنزل وما زال تابوتها الذي يحوي رائحتها النفاذَّة موجود إلى الآن؛ بعد ذلك خرج إلى الناس وكأن شيئًا لم يكن، بل راح يبكي يوم جنازتها ولا أدري إن كان ذلك بدافع الحب، الشفقة أم لإخفاء جريمته التي تشبهه؟ أو ربما لأجل الاستحسان الذي سيناله من أولئك الكاذبين حوله.

لقد دفنها، ودفن معها ذكرياته وماضيه البشع والقذر فلم يكُ هناك أحد غيري يعلم بأمر جريمته النكراء تلك وقد كنت مدركًا لها! رُبما ما دفعني لتقطيعه ذلك اليوم هو صراخه في وجهي، لحظة أن كسرتُ زجاجة الفودكا المفضلة

لديه من ثلاجته الخاصة عن طريق الخطأ، لَمْ أحتمل قط تلك الطريقة التي زجني بها في غرفتي محاولًا ضربي، ركضتُ إلى المطبخ حملتُ سكين من أول درج، ظنَّ أني هربتُ منه فلحق بي إلى حيثما كنتُ، ابتسمتُ له وغرزت سكيني في لُبِ خافقه، تناثرت الدماء عليَّ يومها وملأت أرجاء المطبخ، لم يزرني الخوف وقتها بل بدأتُ بتقطيعه إلى أجزاءِ صغيرة، ووضعته في ثلاجته ذاتها مع بقية الزجاجات، ومن يومها لم أجعَ أبدًا، لا تقل لي أن الأمر مقزز، ومثير للغثيان فلقد اعتدت على هذا الأمر الآن.

دعني أكمل لك قصة والدي العزيز أحيانا كان الجيران يسألونني عنه، فأجيبهم أني لم أره مذ أن قال لي أنه ذاهب إلى رحلة عمل، وقد أمست رحلته الأبدية _سأخبركَ بعد قليل أين وضعتُ عظام أبي وجمجمته القذرة_ دائما ما كنت أخطو بين الناس ولا أحد منهم يرغب برؤيتي، أو التحدث معي ينعتونني "باليتيم المشؤوم" ولو تعلم كم كانوا يؤذونني بذلك، لا يدرون بِما يتفوهون ألا تظن أن ألسنتهم الطويلة هذه تستحق القطع؟

في هذه الحياة إن استسلمت للضعف يومًا فحتما سيقتلك البشر بألسنتهم؛ فهؤلاء اللعناء لا يرحمون أحد صغيرًا كنت أو كبيرًا، رجلا كنت أم امرأة،

يعيشون كما الحيوانات على قانون الغاب "القوي يأكل الضعيف" ولكن لِمَ عليكَ أن تكون في الأصل وهن؟

فكر قبل تجاوبني!

حتى ذلك الوقت دعني أفصح لك عن ضحيتي الثانية كانت ألذ من والدي؛ لحمه شهيٌّ طريٌّ، سوى أنه حشري لئيم، إنه عامل توصيل البيتزا الذي يقطن على بعد أميال عني، طلبت ليلتها من مطعمه بيتزا بحجم متوسط تأخر عني لعشر دقائق، وعندما سألته عن سبب تأخيره رمى بالطلب على الأرض وراح يصرخ ويطلب مني النقود بطريقة وقحة حتى أنه نعتني بالجملة التي أكرهها "اليتيم المشؤوم" هل يحق لهذا أن يرى شمس الغد؟

أخبرني أنت؟

أحسنت، لذا أدخلته إلى المنزل وطلبت منه انتظاري لحين إحضاري للنقود، أو ربما لإحضار فأسي تسلل من خلفي وظل يتبعني إلى غرفتي، ربما توجسه ثمة شيء من الريبة والفضول كيف لصبي بعمري أن يقطن في منزل كبير كهذا وحيدًا، ومن أين له بالمال!

شخص ذكي حقًّا، بيد أني قضيتُ عليه وعلى فضوله بفأس أبي الحنون "رحمه الله"، لقد تلذذتُ به حقًّا، لم يكُ لا يُقَّدر النعمة فصار نعمتي وعشائي لذلك اليوم، أما عن البيتزا فلقد أضحتْ مجرد تحلية.

ماذا أنت تضحكني يا صاح!

لكني سأجيبك، إن كنت تسألني إن كانت لي حبيبة أم لا، فأود أن أقول لك أني لم أهتم قط بالجنس الأخر، بعد مقتل "آن دييغو" أمام عيني بت أخاف أن أكون كوالدي وأنهي حياة امرأة رقيقة ولطيفة كوالدتي، ولا أظن أن إحداهن تستحقني فأنا مجرد قاتل عشوائي عابر في هذه الحياة، أتلذذ فقط بالحقراء، هكذا اعتدت توفير فطوري، غدائي وعشائي، لم تثرني قط ثرثرة أولئك الضعفاء الذين يحدقون بي، فسريعا ما يتلاشون كالضباب إذا حلَّ المطر. أمتلك غرفة صغيرة أشبه بالزنزانة أضع فيها العظام والجماجم، كنت أتمنى لو أملك كلباً، ذئباً أو أيَّة حيوان متوحش يخلصني من أكوام العظام تلك!

أتدري يا صديقي؟

كلهم كانوا عنيدين غير مبالين، لذا دائما ما كنتُ أحمل معي سكيني؛ فأنا لا أختار ضحيتيَّ بل هي من تختارني، أمضي دونما النظر إليهم، من يتحدث

معي بلهجةٍ أبغضها، أو يبتزني بالحديث صار في عداد الموتى، ألقب بالقاتلِ المتسلسل والمجهول، ولغباءِ رجال الشرطة فهم يظنون أني أقتل بطريقةٍ معينةٍ، ربما عشوائيتي هي التي جعلتهم لا يلقون القبض عليٍّ إلى الآن، وربما خوفهم مني من يدري؟ فهم يعلمون جيدًا من أنا؟ أنا لا أرتعب ولا أختبئ من أحد.

حسنًا أخبرني من أرسلكَ إليَّ، ما الذي قادك نحوي؟

من الذي أمركَ أن تعلم ما هي قصتي ومن أنا؟!

حتى تأتي إليٍّ وأنت تَجرُ قدميك نحو عريني واللتين باتتا ذكرى من الماضي الآن؛ على كُل حال فأنا أشكره، فقد ساقتك قدماكَ نحو بيتي؛ فقط لتكون وجبة اليوم، والآن أنا متأكدً تماما أنك قد عرفت من أنا! سأخرج من هذا الحوض اللذيذ الذي أحبه جما، فلا بد لي من أن أنظف جسدي الملطخ بتلك الصبغة الحمراء، فلربما تعبت هذه الجثة من الاستماع إليَّ ولا بد لي من أخذها لتكون ضحيتي المئتين وواحد وخمسين إلى مطبخي العزيز لا يجب عليه أن يخاف بعد الآن أو أن يهتم بما سيحدث له؛ فأنا على أيَّ حال سأقطعه بعد قليل إلى أجزاء، وأدع المجال لبقاياه أنت تتعرف على صديقهم جديد.

وأنت كذلك يا قارئ حكايتي لا تبحث عن أيَّة إجابات أخرى لأسئلتك الكثيرة التي جمعتها عني، بل تعَّلم مما حدث لهذا الأرعن حينما فعل ما عقله، أمحو كل ما جمعته عني و إلا ستكون ضحيتي القادمة ...

تم بحمد الله.